عين المدينة

مجلة نصف شهرية مستقلة / العدد 89 / 1 آذار 2017

Ayn-almadina.com
facebook.com/3aynAlmadina

من معارك الباب

عبد الله سعد السعد - خاص عين المدينة

الافتتاحية

ما بعد معركة الباب

بعد عناء كبير ومعارك شرسة كلفت الكثير من الضحايا، استطاعت القوات المشاركة في حملة درع الفرات التي أطلقها الجيش السوري الحر، مدعوماً بالقوات التركية، تحرير مدينة الباب بريف حلب من داعش.

غير أن مجريات الأيام الأخيرة من المعركة حول الباب تعيد التذكير بالتحالف الموضوعي بين أعداء الثورة المتباينين. ففي حين قاومت داعش حتى آخر قواها في المدينة التي دمّرت بشكل كبير، بدا انسحابها أمام قوات الأسد سريعاً حتى استطاعت هذه القوات الاتصال بمناطق سيطرة قوات سورية الديمقراطية شرق الباب، ليفرض الطرفان سداً أمام استمرار تقدم درع الفرات التي صار عليها لتتمدد أن تحارب قوات الأسد، المحمية بالمظلة الروسية، أو قوات قسد، التي لا تترك فرصة تمر دون الاستقواء بالتحالف الدولي والولايات المتحدة الأميركية.

في هذه المنطقة الصغيرة من شرق الباب يستند الاستعصاء الجغرافي على الأرض إلى توازنات أكبر بكثير، ولا يعلم أحد إلى ماذا ستؤول، لكن المؤكد أن عداء هذه الأطراف لبعضها، النظام وداعش وقسد، لا يقارن بعدائها للثورة، لأن هذه الجهات الثلاث تستقي من مصدر واحد للقيم ورؤية واحدة للعالم، هي الاستبداد والطغيان والإيمان بالقوة المجردة.

ومن هذه الرؤية نفسها يأتي تسابق كلٍّ من الأسد وقوات حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي على حيازة «الوكالة الحصرية للحرب على الإرهاب»، ظناً من الطرفين أن العالم مجرد عجوز غربية مذعورة يمكن أن تدفع كل شيء لقاء تخليصها من المختل الداعشي، ومن يفعل ذلك سيكافأ بكل ما يشاء؛ استعادة للشرعية أو بناؤها، منح سورية لبشار أو السماح بقيام دويلة كردية فيها، التغاضي عن موجات القتل الوحشية والبراميل والكيماوي هنا، وعن التهجير والفاشية هناك.

رغم كل ما تعرضنا له من الظلم المتراكم والمركب لا بد أن نتذكر أن سياسات العالم لا تعمل بهذه الطريقة. وأن القوى الدولية قد تعتمد مؤقتاً على قوى محلية قادرة على مواجهة خطر أسود كداعش، وهذا ما ينطبق على وحدات الحماية، وقد يسرها ما يمكن أن يصيب داعش من ضعف على يد الميليشيات الشيعية وقوات الأسد؛ غير أن هذا سيبقى دون ترجمة سياسية. وستأتي ساعة حساب كل المستبدين والدواعش مهما اختلفت ألوان الأعلام التي يرفعونها.

3 محكمة اعزاز المركزية

5-4 تنظيم داعش ينسحب مخلفاً الألغام

6 98 يوماً في سجن أحرار الشام

7 خيول دير الزور لقمة غير سائغة في فم داعش

11-10 راديو داعش ومجلاتها

13-12 الطبقة.. ويكيبيديا الحلم الضائع

17-16 غياب السياسة وآثاره المدمرة

19 لقاء بشار بفريقه الديني الشبابي

محكمة اعزاز المركزية

محمد سرحيل

في جميع المناطق التي خرجت عن سيطرة الأسد برزت حاجة ماسّة إلى إنشاء محاكم تفصل بين الخصوم وترد المظالم، وتقوم على إمضاء عقود الزواج والطلاق والبيع والشراء وغيرها. محكمة اعزاز المركزيّة إحدى هذه المحاكم التي سنتعرف إليها في هذا العدد.

مرحلة التأسيس

منتصف 2012، وبعد تحرير مدينة اعزاز بريف حلب الشمالي، ونظراً لضرورة وجود جهة قضائية تحل محل المحاكم النظامية؛ تداعى عدد من خريجي وطلاب كلية الشريعة للتصدي لهذه المسألة، فأسسوا الهيئة الشرعية في مدينة اعزاز، التي كان يسيطر آنذاك عليها لواء عاصفة الشمال التابع للجيش السوري الحر، مع وجود ضئيل للواء عمرو بن العاص الذي كان يقوده أحمد عبيد وبايع جبهة النصرة في ما بعد، والذي لم يكن راضياً عن الهيئة لأنها لم تكن «تحكم بالشرع» من وجهة نظره. بدأت الهيئة بممارسة عملها كسلطة أمر واقع، ولم يكن جميع القائمين عليها آنذاك أصحاب اختصاص وخبرة، ورغم ذلك فاقت إيجابياتها سلبياتها. وفي آب 2013 ضجّت المدينة بنبأ اغتيال رئيسها، الشيخ يوسف عشّاوي، بمسدس كاتم للصوت أمام منزله، وهو أحد الوجوه الثورية البارزة في اعزاز، ليعقبه الشيخ وليد العريّض، وهو يحظى أيضاً بسمعة حسنة وقبول لدى أهل مدينته. لم يطُل بقاء العريّض في منصبه حتى لحق بصديقه الشيخ يوسف، إذ قضى في شباط 2013 في معركة «سيفات» التي استجاب فيها لدعوات النفير العام على خلفيّة هجوم عنيف شنّته قوات النظام.

عقب سيطرة تنظيم دولة العراق والشام على اعزاز في تشرين الأول 2013 توقّف عمل الهيئة بشكل كامل، إلا أنها سرعان ما عادت إلى العمل بعد انسحاب التنظيم أواخر شباط 2014.

مراحل تطورها

كغيرها وجدت الهيئةُ نفسها عاجزةً عن الاستمرار ما لم تملك مقومات قضائية حقيقية، إذ لا بدّ من وجود أحكام وتشريعات مقنّنة ومفصّلة لتبت في القضايا، الأمر الذي دفعها إلى تطوير عملها وآلياتها، فاعتمدت القانون العربي الموحد المستمد من الشريعة الإسلامية، وهو قانون مبوب ومقسّم على مواد شرعية قانونية، ولا يعتمد على مذهب فقهي واحد، فضلاً عن صدوره من جامعة الدولة العربية والاعتراف به من قِبَلها؛ لتصبح الهيئة تابعة لمجلس القضاء الأعلى ويتحوّل اسمها إلى المحكمة المركزية.

يقول رئيسها الحالي، مصطفى سلطان، في لقاء مع «عين المدينة»: «تحترم المحكمة التخصّصات القضائية وتفصل بينها. ولديها عدة محاكم؛ كمحكمة الجنايات، ومحكمة جزائية، وجهاز نيابة، وجهاز تحقيق، وتحوي أيضاً محاكم مدنية وأحوال شخصية ومعاملات مالية. كما أنها تضم 36 قاضياً في شتى الاختصاصات، ولديها 43 موظفاً ومساعداً عدلياً، فيما يتبع لها 60 عنصراً كعناصر ضابطة في الشرطة القضائية».

بدوره يقول المفتش القضائي في المحكمة محمد زيتون (75 عاماً قضى 30 منها في ممارسة المحاماة) إن المحكمة تعدّ نموذجاً لقصر عدلي مصغر؛ لاحتوائها على أقسام واختصاصات كمحكمة التمييز (النقض) التي لا توجد إلا في القصر العدليّ ضمن محاكم المحافظات الكبيرة.

منظومة إسعاف مدينة اعزاز
رمز ١٧/١ - تاريخ: ٢٠١٧/١/٢م
صفحة رقم ١ الشهداء
توثيق اسماء الشهداء الذين قضوا نتيجة استهداف المحكمة الشرعية في مدينة اعزاز

رقم	الاسم والكنية	العمر	الأصل	رقم	الاسم والكنية	العمر	الأصل
١	ابراهيم خليف وتدان		اعزاز	٢٧	محمد جميل جمر	٤٠ سنة	ام جوش
٢	احمد فتحي السيرو	٣٥ سنة	الشيخ	٢٨	محمد حسين فيطار	١٨ سنة	اعزاز
٣	احمد رجيا العيسى	٣٥ سنة	اعزاز	٢٩	محمد زيود خباطة		اعزاز
٤	احمد عمر حسين		الدرجلة	٤٠	محمد طه يحاج	١٨ سنة	اعزاز
٥	احمد يوسف ملا عون		تل رفعت	٤١	محمد عزيز الصالح السعدي	٥٦ سنة	تل رفعت
٦	اسامة حسن الجاسم		منبج	٤٢	محمد كرو		منبج
٧	اسماعيل عمر يوسو	٣٧ سنة	تل رفعت	٤٣	مصطفى موسى		مريمين
٨	بلال سليمان			٤٤	نذير وائل داديخي	١٨ سنة	اعزاز
٩	جاسم محمد صالح			٤٥	هيثم محمود شحيبي		اعزاز
١٠	حسن عبدالله العبد الله	١٥ سنة	الصالحور	٤٦	يوسف جميعة فيطار	٣٠ سنة	اعزاز
١١	حسن كرو		منبج	٤٧	يوسف حسن عباس	٥٠ سنة	مارع
١٢	حسين حنطل	١٩ سنة	مارع	٤٨	يوسف محمد العمر	٨ سنوات	العرقبة
١٣	حسين علي عزيزية		اعزاز				
١٤	حميدي حسين طو	١١ سنة	نبرة				
١٥	خليل حسين نعسان	١١ سنة	اعزاز				
١٦	زيدان ابراهيم عكلة	١١ سنة	العوجية				
١٧	صديق بكر يوسف	٣٠ سنة	العراق				
١٨	صياح فاضل يونس		العراق				
١٩	عادل خليل الجدوع	٢٥ سنة	السفيرة				
٢٠	عزيز الجبار الجداع	١٦ سنة	حيان				
٢١	عزيز محمود كلكة	٢٥ سنة	حلب				
٢٢	عبدالله عبدالرحمن شيخ	٢٣ سنة	السفيرة				
٢٣	عبدو عيسى الحسين	٢٠ سنة	السفيرة				
٢٤	علي حسين فياض	١٦ سنة	نبرة				
٢٥	علي مارديني		اعزاز				
٢٦	عمر حسين خليل	٢١ سنة	اعزاز				
٢٧	عمر طالب وبلاوي	٢٠ سنة	اعزاز				
٢٨	عمر محمود الليف	٢٤ سنة	اعزاز				
٢٩	غازي محمد حمادة	٢٤ سنة	اعزاز				
٣٠	غالب علي رسول	٧٩ سنة	العراق				
٣١	فارس حديفة	٢٤ سنة					
٣٢	محمد السعيد						
٣٣	محمد بلال الأسير	٢٦ سنة	تل رفعت				
٣٤	محمد توفيق الحوت		حلب				
٣٥	محمد جاسم						
٣٦	مهند وانيس	٤٣ سنة	بزاعة				

أسماء الشهداء

تفجير المحكمة

تعرّض حاجز المحكمة في العام الماضي لهجمات متعددة لم يُعرف المسؤول عنها، إلا أن مصادر تشير إلى أن المتهمين غالباً هم بعض المنتفعين الذين تضرروا من قرارات المحكمة التي تسعى جاهدة إلى تطويق المهرّبين ومنع التجاوزات أو الاعتداءات في المدينة.

وفي ظهيرة السابع من كانون الأول المنصرم ضربت شاحنة تحوي أطناناً من المتفجرات مبنى المحكمة، إذ تمكن السائق الانتحاريّ من صَدْم الحاجز الحديدي الواقع قبل المحكمة بسرعته الشديدة، وبعد تجاوز الحاجز بأمتار انفجرت الشاحنة لتحدث مجزرة مروّعة.

وتشير الوثائق والإحصاءات التي حصلت «عين المدينة» على نسخة منها إلى أن 48 شخصاً موثّقين بالاسم استُشهدوا جرّاء التفجير، 33 منهم مدنيون بينهم نساء وأطفال ونازحون من العراق، فيما فقدت المحكمة 15 من كوادرها من أبرزهم الشيخ أسامة الجاسم والقاضي يوسف الحسن. أما المصابون فقد بلغ عددهم 166 شخصاً، عولج 86 منهم داخل سورية ونقل البقية إلى المشافي التّركيّة. ووثّق الإحصاء أيضاً أسماء 7 مفقودين تحولت أجسادهم إلى أشلاء ممزّقة، فيما تقول مصادر أخرى في المحكمة إن عدد الضحايا تجاوز العدد أعلاه نظراً لعدم التعرف على العديد من الجثث.

من جهة أخرى تعرض مبنى السرايا، الذي يقع وسط سوق اعزاز وتتخذه المحكمة مقراً لها، لأضرار مادية بالغة خرج بموجبها عن العمل بشكل كامل، وهو مبنى أثري بناه الفرنسيون خلال الانتداب، الأمر الذي دفع الخارجية الفرنسية إلى إصدار بيان استنكار لهذه «الجريمة الإرهابية».

الحدود التركية السورية - AP

تنظيم الدولة ينسحب مخلفاً الألغام

مصطفى أبو شمس

بجانب سريرها في المشفى الحكومي بمدينة كيليس التركية تجلس رحاب (10 سنوات) ومعها أقلام تلوين لترسم خمسة أصابع على الدفتر الذي قالت إن طبيبة المشفى هي من اشترته لها. وعند سؤالي عن سبب رسمها الأصابع الخمسة أجابت أنها وأخواتها الثلاث وأمها هم من في الصورة، وعندما يعود والدها من المعتقل في سجون الأسد سترسم إصبعاً سادساً.

لا تستطيع رحاب الوقوف على قدميها منذ أن انفجر بها لغم أرضي وهي تلعب في بيتها في بلدة أختارين، التي عادت إليها مع أسرتها منذ أربعة أشهر، بعد تحريرها من تنظيم الدولة، مخلفاً طفلة عاجزة نجت من الموت «بمعجزة إلهية» على حد قول الطبيبة التي تعالجها.

رحاب واحدة من مئات الأطفال والأفراد الذين تعرضوا لإصابات بليغة نتيجة الألغام التي زرعها التنظيم في كل مكان وكيفما اتفق، فأودت بحياة الكثير منهم وخلفت الباقين بعاهات دائمة.

تعد الألغام من الأسلحة غير الفتاكة، بيد أن تأثيرها يمتد طويلاً بعد انتهاء الحروب، لتضيف إلى قوائم الضحايا ضحايا جدداً في كل مرة، يعيشون معاقين مبتوري الأيدي أو الأرجل أو فاقدي إحدى الحواس كالسمع أو البصر.

من يزرع الألغام؟

منذ بداية الشهر السابع من عام 2016، مع انطلاق معارك كلٍ من درع الفرات وقوات الحماية الكردية ضد تنظيم الدولة، شهدت قرى الريف الشرقي لحلب زراعة كبيرة للألغام الأرضية، وخصوصاً في الطرق الزراعية وبعض البيوت التي تعتبر «خط جبهة»، لإعاقة تقدم هذه القوات.

ويروي الأستاذ حامد العلي، من قرية الشيخ ناصر في الريف الشرقي، أن التنظيم شعر بقرب انتهاء وجوده في المنطقة منذ بداية ذلك الشهر، وأن رتلاً من عربات تابعة له، مكوناً من سيارة جيب مموهة وثلاث سيارات بيك آب دفع رباعي، دخل القرية محملاً بالعبوات والألغام اليدوية والإلكترونية التي قاموا بزراعتها في الطرق الترابية وبعض البيوت، ونبهوا أبناء القرية إلى عدم الاقتراب من المنطقة. ويؤكد الأستاذ حامد: «كنا نسمع أصوات انفجارات الألغام كل يوم جراء مرور الحيوانات البرية العابرة كالقطط والكلاب».

ويؤكد علي، المسؤول عن الترجمة للسوريين في قسم الطوارئ في مشفى كيليس، أن أكثر من مئة حالة إسعافية دخلت المشفى نتيجة انفجار الألغام خلال الشهرين الماضيين، معظمهم من الأطفال.

متطوعون بأدوات بدائية لتفكيك الألغام

يعتمد المتطوعون الذين يقومون بتفكيك الألغام على أدوات يدوية لإزالتها، وهي مسابر رقيقة وطويلة لتحديد مكان اللغم، ومطرقة وبانسة لتفكيكه.

يقول محمد رسلان، أحد المتطوعين في مدينة منبج، والذي اكتسب خبرته في تفكيك الألغام من وجوده في كتيبة الهندسة أثناء خدمة العلم: «ليست لدينا معدات، والذين يقومون بتفكيك الالغام معدودون على الأصابع. ويعتمد تنظيم الدولة على طرق جديدة ومبتكرة في زراعة الألغام». وعن طريقة تفكيك الألغام يخبرنا: «تتم في البداية عملية الكشف عن اللغم من خلال المسبار. وعند تحديد مكانه نحفر حوله حتى يظهر بشكل كامل، ثم ننتزعه بحذرٍ بواسطة حربة البندقية ونعطله، وأحياناً نقوم بتفجيره».

محمد، الذي أزال خلال الأشهر الماضية أكثر من 500 لغم على حد قوله، قال إن الألغام مزروعة في كل الأماكن؛ في البيوت والمدارس وداخل الأضواء وعلى أبواب البيوت وتحت الأشجار وفي الطرق الزراعية، ما يجعل المهمة صعبة للغاية. إذ يقوم المتطوعون بالكشف الأولي على البيت أو الأرض، و«يستغرق الأمر ساعات كثيرة وربما أياماً». ولا يعد هذا الكشف دقيقاً، فقد تكون هناك ألغام مموهة أو مخفية.

بعض المتطوعين ليست لديهم الخبرة الكافية، وفقد بعضهم الحياة نتيجة انفجار لغم، وكان آخرهم أحد متطوعي قرية العريمة. يقول أبو حسين، والده، إنه لم يرد لابنه هذه المهمة الخطرة، وخصوصاً بعد

أن فقد إحدى يديه أثناء إزالة الألغام، ولكنه كان يصر على الذهاب في كل مرة يطلبه فيها أحدهم. وكان قد اكتسب خبرته من مرافقته أحد الذين يعملون في هذه المهنة. في المرّة الأخيرة لم يعد، «فقد كان اللغم ثنائياً» حسبما قال الذين رأوا المكان. قام بتفكيك الأول ما أدى إلى انفجار الآخر، تاركاً طفلته الصغيرة بلا أب.

يسمى هذا النوع من إزالة الألغام، بحسب الأمم المتحدة، النوع الإنساني. ويهدف إلى استعادة الأمن على مستوى المجتمع المحلي بتطهير الأرض من الألغام الأرضية ومن مخلفات الحرب التي لم تنفجر، بحيث يمكن للمدنيين أن يعودوا إلى ديارهم وإلى ممارسة أعمالهم وضمان سلامتهم في المناطق التي تم تطهيرها. وفي الغالب تقوم بهذا العمل وحدات عسكرية أو مؤسسات مختصة، وفي ظل غيابها يلجأ الأهالي إلى المتطوعين أو إلى أفراد يتقاضون مبلغاً من المال يصل إلى 25000 ليرة لتفكيك اللغم الواحد، من أجل العودة إلى بيوتهم.

وكان فريق عمليات منظمة smac قد أعلن منذ شهر خلو بلدة أختارين من الألغام واعتبارها آمنة بعد أن قام الفريق بالكشف عن الألغام وإزالتها. وذكر مدير العمليات عدنان الحسن لراديو الكل أن تنظيف المدينة استغرق شهراً كاملاً، وأنه تم التوجه إلى المنطقة بعد عدّة بلاغات من المجلس المحلي والمدنيين. مؤكداً أن تنظيم الدولة قام بزراعة 400 لغم أرضي قبل خروجه من القرية، موزعة بين البيوت والمدارس والمرافق العامة والأراضي الزراعية.

الأغنام ككاسحات ألغام

درج في الآونة الأخيرة استخدام قطعان الأغنام ككاسحات ألغام في القرى التي حررت من التنظيم. يقول الحاج أبو علي من قرية الكاوكلي في الريف الشرقي لمدينة حلب: «بعد أن كنا نؤجر الأراضي لرعاة الأغنام صرنا ندفع لهم النقود للرعي في أراضينا التي لم نستطع حصادها خوفاً من وجود الألغام». ويتم الاتفاق مع الرعاة على إطلاق أغنامهم في الأرض التي يتكفل صاحبها بدفع ثمن «كل رأس غنم ينفق نتيجة انفجار لغم به» بحسب قول أبو علي.

وقد أدت زراعة الألغام في هذه المناطق إلى تحول مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية إلى أرض مهجورة نتيجة خوف المزارعين من العمل في أراضيهم.

إلى من نلجأ؟

يقتصر عمل الفصائل على النوع العسكري من إزالة الألغام، وهي عملية يقوم بها جنود مدربون لفتح ممر آمن بحيث يمكن لهم أن يتقدموا أثناء القتال. وتعنى هذه العملية بإزالة الألغام التي تعترض الطرق المطلوبة لتقدم الجنود أو انسحابهم أثناء المعركة. وتستخدم فيها كاسحات الألغام والهراسات وأجهزة قطع الحشائش والحفّارات، التي يتم ربطها بجرارات مصفحة لتدمير الألغام في الأرض. بينما لا تستطيع هذه الأدوات الدخول إلى البيوت التي عششت الألغام في داخلها، وليست هناك وحدات هندسية تقوم بهذا العمل.

منذ شهرين انتقل خالد الأحمد وأسرته للعيش في قرية كفره بالقرب من مدينة اعزاز، بعد أن حررت في الشهر العاشر من عام 2016 من تنظيم الدولة. ولكن لغماً انفجر في البيت الذي سكنه وأدى إلى فقدان أحد أطفاله بصره بالكامل والآخر إحدى عينيه. يقول: «استأجرنا البيت بـ15000 ليرة شهرياً من المجلس المحلي في القرية. وراجعنا المجلس أكثر من مرة ليكشف عن وجود الألغام ولكن لا مجيب».

لجأ خالد إلى أحد المتطوعين الذي أزال ثلاثة ألغام من البيت وأكد له خلوه منها بعد ذلك. ولكن الحادثة وقعت بعد أكثر من شهر أثناء لعب ولديه في «حوش الدار». يكمل: «هربنا من القصف في ريف إدلب لنسكن في هذه القرية خوفاً على أطفالنا، فلماذا يؤجر المجلس المنازل قبل الكشف عليها!».

في غرفة رحاب في المشفى نفسه يتمدد محمد (8 سنوات) ابن خالد بعد إجراء عملية جراحية لعينيه. وبجسد صغير مليء بالشظايا وذاكرة حاضرة يقول: «كان اللغم أشبه بقطرميز (عبوة زجاجية توضع فيها الأغذية). رأيناه أكثر من مرة ونسيت أن أخبر والدي عنه، حتى ضربه أخي الصغير بقدمه بينما كنا نلعب، وبعدها حصل الانفجار».

تعدل رحاب جلستها لترينا هذه المرة لوحة رسمت فيها نفسها، مع والدها ووالدتها، وهي تركض في حديقة. كانت عيناها مليئتين بالدموع عندما سألتني: «عمو، أنا رح أرجع ألعب وروح عالمدرسة، مو؟». اكتفيت بإيماءة من رأسي بالإيجاب وتأملت طفولتها التي قتلتها الحرب.

أحد أشكال الألغام (شرك خداعي) التي تركها تنظيم داعش خلفه في مدينة منبج - من صفحة "سوريا بلا ألغام" على الفيسبوك

98 يوماً في سجن أحرار الشام

عبد اللطيف الجوفان

همام الحمد

في منزل أخيه النازح إلى بلدة سلقين بريف إدلب التقت «عين المدينة» عبد اللطيف مروح الجوفان (22 عاماً) من بلدة أبو حمام بريف دير الزور الشرقي، بعيد إطلاق سراحه من سجن أحرار الشام. ونعرض شهادته هنا دون تبنيها أو نفيها، لتعذر الاتصال بالجهة الخاطفة.

يقول عبد اللطيف إنه، مثل غيره من الشبان الهاربين من داعش، حلق لحيته الإجبارية بمجرد وصوله إلى مناطق الجيش الحر، لكن هذا «لم يصرف الأنظار عنا». فبمجرد أن تكون شاباً قادماً من دير الزور فأنت داعشي حتى يثبت لدى بعض الحواجز العكس.

بعد خروجنا من اعزاز قاصدين إدلب أنزلني آخر حاجز لحركة أحرار الشام قبل مدينة عفرين، مشتبهاً بشعري الطويل الذي لم أتمكن من حلاقته وقتها، وطلب «دورية أمنية» للحركة جاءت على الفور. قيدوني وشدوا عصابة على عيني ونقلوني إلى مقر وسجن سري للحركة، علمت لاحقاً أنه يقع تحت خزان المياه في مدينة اعزاز. كان المحقق شاباً من اعزاز في أول العشرينات من العمر، اسمه محمود كرزة ويلقب بأبو الدحداح. قال لي فور وصولي: «بشرع الله.. إذا عليك شي ما راح تشوف الشمس، وإذا ما عليك راح تطلع». «كانت هذه الجملة مطمئنة لي، فأنا هارب من ظلم داعش ووحشيتها»، حسب ما يقول عبد اللطيف الذي اعتقلته داعش في حملة طالت 300 من أبناء عشيرته الشعيطات بتهمة التنسيق مع القوات الكردية، تعرض خلالها لأسابيع من التعذيب الوحشي الذي كان أقله «الخنق بالأكياس» و«الشبح» مقيداً. وقبل ذلك، في صيف العام 2014، «داعش ذبحت أبوي وعمره 65 سنة» واستولت على أغنامه أثناء محاولته الفرار «مع حلاله» من المذبحة الجارية آنذاك. لم تشفع لي قصتي مع داعش، ولم تجنبني التعذيب بالصعق الكهربائي باستعمال عصا خاصة أو بالملاقط التي تثبت على أصابع القدمين. وعندما تتوقف المولدة تغذي البطاريات المشحونة لهذا الغرض أدوات التعذيب التي يستعمل فيها أيضاً ما يسميه الجلادون بـ«الأخضر الإبراهيمي»، وهو أنبوب مصنوع لتمديدات المياه، شديد الإيلام عند استخدامه في جلد المعتقلين.

يقول عبد اللطيف إنه تعرض للتعذيب في سجن أحرار الشام في الأيام الأولى فقط، وقت التحقيق بتهمة الانتماء إلى تنظيم داعش، ثم ألقي به في زنزانة هي غرفة لا تزيد مساحتها عن 25 م2 ولم يقل عدد نزلائها عن 30 شخصاً خلال مدة الاعتقال. وتشكل، إلى جانب غرفة أخرى بالمواصفات نفسها، السجن الأمني الرئيسي لحركة أحرار الشام في مدينة اعزاز.

لأكثر من ثلاثة أشهر في هذا السجن لم ير عبد اللطيف ضوء الشمس، وكان طعامه وجبة واحدة يومياً، برغيف خبز واحد أو رغيفين فقط. ورغم كل هذا يعد نفسه محظوظاً لأنه لم يعترف مكرهاً بالانتماء إلى داعش كما اتهمه المحققون، مثلما فعل غيره من الأبرياء الذين اعترفوا رغبة منهم في الخلاص ولو مؤقتاً من التعذيب. وينقل روايات سمعها هناك من معتقلين فروا من داعش ووقعوا في قبضة من يتهمهم بالانتساب إليها أو بالعمل لحسابها، مثل قصة شاب من الرقة اسمه جمال ما يزال مسجوناً منذ 10 أشهر، وغيره من عابرين التقطتهم شكوك أمنيي الفصائل التي تطال الجميع.

وفضلاً عن الأبرياء التقى عبد اللطيف في السجن بمدانين كانوا يهربون الذخيرة والسلاح من إدلب إلى الرقة، وبدواعش سوريين ومن جنسيات أخرى أغلبهم من المغرب وتونس وليبيا، إضافة إلى شقيقين لبنانيين خرجا من السجن لقاء 3000 دولار، وفق شائعة سرت وقتها بين السجناء.

مرات كثيرة حاول عبد اللطيف استعطاف السجانين بسرد قصته مع داعش، على أمل أن يبلغوا أحداً من أقاربه بوجوده هناك، دون جدوى. لم يقابل إلا بالسخرية: «أهلك نسيوك.. يحسبونك ميت وساوو لك تعزيب». ليستسلم أخيراً إلى قدره يائساً من الفرج حسب ما يقول، إلى أن عرض فجأة على «قاض» أمر بإطلاق سراحه وبرر مدة اعتقاله الطويلة بأنها إجراء احترازي فقط.

يقارن عبد اللطيف بين سجن داعش وسجن الأحرار فيقول: «يوم واحد عند داعش بعشر سنين عند الأحرار». ولكنه يؤكد رغم ذلك أنه لن ينسى هذه الأشهر الرهيبة مظلوماً لدى من يفترض بهم أن يكونوا مختلفين عن داعش وعن النظام.

خيول دير الزور

لقمة غير سائغة في فم تنظيم الدولة الإسلامية

سمهر الخالد

من ريف ديرالزور الشرقي - خاص عين المدينة

يتابع أصحاب الخيول في دير الزور أخبار أحصنتهم باهتمام بالغ وهم خارج أراضيها، بينما يراقبها قسم منهم فيها رغم كل الظروف السيئة ومحاولات عناصر محلية في تنظيم الدولة الإسلامية الضغط عليهم لترك ثرواتهم تلك، في محافظة لم تعد تحمل السمعة التي كانت لها بتربية الخيول وتصديرها، لكنها ما زالت خزاناً عريقاً للخيول العربية الأصيلة.

في إحصاء لمديرية مكتب الخيول العربية الأصيلة في وزارة الزراعة التابعة للنظام، يعود إلى الشهر الأخير من عام 2015، حصلت «عين المدينة» على نسخة منه، يبلغ عدد الخيول في دير الزور 213 من أصل 6182 حصاناً في كامل الأرض السورية، لتقع المحافظة في المرتبة السابعة من حيث العدد بعد ريف دمشق والحسكة وحمص وحماة وحلب ودرعا. وبذلك قد يفاجأ أهالي الدير لأن منطقتهم لم تعد ذلك السوق الذي وصفته الرحالة الليدي آن بلنت، منذ قرابة القرن والنصف، بأنه «أفضل سوق لشراء الخيل الأصيلة في كل القارة الآسيوية»، لكنها ما زالت تحتفظ بسلالات تعود إلى مئتي سنة، كالمعنقي السبيلي وحمدانيات ابن غراب وصقلاويات الدندل. ويعتقد طبيب بيطري مختص بالخيول من مدينة دير الزور أن العدد الإجمالي للخيول التي تعود للمحافظة اليوم يصل إلى 500 حصاناً، في ظل وجود ولادات جديدة وخيول منقولة لم يسجلها الإحصاء المذكور، بسبب سيطرة تنظيم الدولة.

لم تسجل سنوات الثورة أي حالة سرقة للخيول في دير الزور، رغم بعد بعض أصحابها عنها، وقد ساعدت في ذلك العلاقات الاجتماعية التي جمعتهم بالفصائل، إضافة إلى الكثير من التعقيدات والحسابات التي خضعت لها القوى الفاعلة وقتها، لكن تلك الفترة سجلت نفوق بعض الخيول بسبب القصف. وأضافت الثورة إلى تربيتها جهات متطوعة، يجمع بين أفرادها حب الخيل، عملت على تقديم الرعاية، بحسب مهندس زراعي من المدينة. وتعود مزارع الخيول، حتى تلك الفترة، لأفراد من عوائل ذات مكانة اجتماعية عالية، تضم وجهاء وشيوخ وأثرياء، يبدو امتلاكهم للخيل أمارة على الأصالة والنبل، ويتداخل في ذلك التراث عامل ديني مهم يرتبط (بجلب البركة والعز) لأصحابها، بحسب اعتقاد شائع. ويذكر شهود عيان أن تنظيم الدولة كان قد صادر خيولاً من قرى الشعيطات بعد المجزرة التي ارتكبها في حق العشيرة، فضلاً عن الاستيلاء على كامل مزارع الخيول التي تعود ملكيتها لأهالي مدينة دير الزور عند تمدده. لكن، على رغم ذلك، بقيت خيول لدى آخرين منهم أفراد من الشعيطات حتى الآن. وتضم المحافظة اليوم، بحسب تقديرات، أكثر من 1500 حصاناً، هي مجموع ما يملكه الأهالي مضافاً إليه ما صادره التنظيم من حماة ودرعا وحلب وريف دمشق وغيرها. ويستعمل عناصر في التنظيم الخيول للاقتناء الشخصي، في دلالة على تسلق أعلى درجات السلم الاجتماعي في المنطقة. وبحسب البعض يستخدم عناصر في أجهزة التنظيم الخيول لمطاردة المخالفين في الحيالات (الأراضي بين بيوت القرى).

يفيد المهندس الزراعي أن خيولاً مسروقة من دير الزور بيعت في تركيا والعراق، لكن مربين ومهتمين يبدون مطمئنين إلى أن بيع الخيول يحتاج إلى عقود رسمية، وفراغ ذمة من صاحبها الأساسي، يخشى غالبية الزبائن الشراء دونه، عدا عن معرفتهم بأصحاب الخيول الأصليين، وتقل مخاوف المربين خاصة بعد اقتراب إغلاق الحدود على التنظيم في سوريا، لكن يخرق هذه القاعدة مشترون ينتمون إلى تنظيم الدولة أو مقربون منه. على أن أصحاب الخيول المصادرة من قبله يخشون، كمعظم سكان المناطق التي يسيطر عليها، حتى بعد خروجهم منها، إشهار الأمر أو الكلام عنه، خوفاً على مصير ثرواتهم من انتقام التنظيم في حال عرف قادته المعنيون بذلك.

يذكر أن التنظيم حاول، كعادته، استثمار تلك الموارد في تدعيم صورته أمام متابعيه في الخارج، فصور إعلاميوه تقريراً حول سباقات للخيل أقامها في بادية البوكمال التابعة لـ«ولاية الفرات»، في محاولة لاستلهام سباقات الخيل المحلية التي كانت تقام دورياً لتدريب الخيل، بالإضافة إلى نشره أكثر من تقرير مصور حول تربية الخيول في الأراضي التي يسيطر عليها في سوريا والعراق.

التقرير الشهري عن الجواد العربي الأصيل في سوريا
لشهر/كانون الأول/ لعام ٢٠١٥

رقم	الصفة	عدد الذكور	عدد الإناث	المجموع	عدد المولود	عدد عينات (DNA شعر)	عدد المرقوم	عدد النوق	عدد الحوالات المنقلة	التصدير	الاستيراد	ملاحظات
1	ريف دمشق	1258	1609	2867	7	5	46	_	93	3	_	_
2	الحسكة	508	765	1273	_	2	_	_	_	_	_	_
3	حمص	144	273	417	2	1	_	_	8	_	_	_
4	حماه	215	325	540	4	_	_	2	_	_	_	_
5	حلب	115	222	337	_	_	_	_	_	_	_	_
6	درعا	137	172	309	_	_	_	_	_	_	_	_
7	دير الزور	67	146	213	_	_	_	_	_	_	_	_
8	اللاذقية	37	37	74	_	_	_	_	_	_	_	_
9	القنيطرة	19	68	87	11	13	_	_	1	_	_	_
10	اعلاف	25	20	45	_	_	_	_	_	_	_	_
11	الرقة	3	6	9	_	_	_	_	_	_	_	_
12	السويداء	5	3	8	_	_	_	_	_	_	_	_
13	طرطوس	1	2	3	_	_	_	_	_	_	_	_
	مجموع الشهر الحالي	2534	3648	6182	24	21	46	2	102	3	_	_
	مجموع العام ٢٠١٥	2534	3648	6182	787	645	269	58	623	11	_	_

المازوت الأنباري...
قنابل موقوتة في منازل الجنوب السوري

أيهم الحوراني

من أحد مشافي ريف درعا الغربي - خاص

تعرضت نور (9 سنوات) لحروق من الدرجة الأولى جراء انفجار عبوة تحوي على المازوت الأنباري كانت تستخدمها لترش منها داخل مدفأة الحطب، ما أدى إلى اشتعال منزلها بريف درعا الغربي بشكل كامل. نقلت الطفلة إلى مشاف ميدانية عدة لكن حالتها المزرية ونقص الإمكانات اللازمة كانا سبباً في وفاتها.

بشكل مشابه لهذه الحادثة المأساوية شهدت محافظتا درعا والقنيطرة، خلال أشهر الشتاء الماضية، عشرات حالات الاحتراق نتيجة استهلاك الأهالي وبعض المؤسسات، كالمشافي والمجالس المحلية، لما يسمى بالمازوت الأنباري، الذي يتم استخدامه بديلاً عن المازوت النظامي في كثير من الأمور الحياتية.

السيد أبو محمد، وهو خبير في المواد البتروكيماوية، قال لـ«عين المدينة» إن المازوت الأنباري هو مزيج من المواد البترولية غير متناسقة التركيب تنتج عن عملية تصفية وتكرير بدائية باستخدام حراقات تعتمد على درجات حرارة عالية. وهي مواد مضرة بالبيئة والصحة والسلامة الشخصية، ولا يوجد في استخلاصها أي عامل من عوامل الأمان والتقنية الحديثة التي توجد في المعدات الحقلية النظامية التي تنظف البترول الخام من الشوائب والغازات وتفصله إلى قطفات مختلفة المكونات والمواصفات من حيث الكثافة واللزوجة باستخدام أبراج الفصل، معتمدة على درجات حرارة محددة.

السيد أحمد جميل، وهو أحد تجار الوقود في ريف درعا الغربي، أكد أن مصدر المازوت الأنباري هو المناطق التي يسيطر عليها تنظيم داعش شمال شرق سورية، ويتم تهريب كميات كبيرة منه من خلال تجار يتعاملون مع عناصر في اللجان الشعبية بريف السويداء إلى قرى ريف درعا الشرقي ومنها إلى ريفها الغربي والقنيطرة. وبحسب السيد أحمد يغطي هذا المازوت حاجة السوق المحلية بشكل كبير، معوضاً نقص المازوت النظامي الذي يتم الحصول عليه بعمليات تهريب محدودة من مناطق النظام.

يتحدث السيد أحمد عن عدة أنواع للمازوت الأنباري؛ فيقول إن هناك نوعية جيدة تقترب من المازوت النظامي نوعاً ما، يتم استخدامها للتدفئة ولتشغيل الآليات. وهذا النوع ليس سريع التجمد عند انخفاض درجات الحرارة. ويبلغ سعر الليتر الواحد منه حوالي 270 ل. س وسطياً. ويكون لونه عسلياً تقريباً. وهناك نوع آخر أسوأ من السابق يتميز بتجمده بشكل أسرع مع انخفاض درجات الحرارة، ويحوي على نسبة معينة من الشوائب، ويستخدم في التدفئة فقط. ويبلغ سعر الليتر منه حوالي 200 ل. س وسطياً. وعند انقطاع النوع الأول يلجأ البعض إلى خلط النوع الثاني مع البنزين أو مع نوع ثالث من المازوت الأنباري مشابه بمواصفاته لمادة البنزين. ويكون النوع الناتج من المازوت بلون النوع الأول تقريباً، ويسبب العديد من حالات الاحتراق والانفجار بسبب سرعة تطاير المركبات الخفيفة وسرعة اشتعالها أيضاً.

السيد أبو معتز، وهو ممرض في إحدى النقاط الطبية بريف درعا الغربي، أكد تزايد حالات الحروق الواردة إلى المشافي، وخصوصاً بين الأطفال. ووضح أن معظم الحروق كانت تتراوح بين الدرجة الأولى والثالثة، وأدى بعضها إلى حالات وفاة سريعة نتيجة الضرر الجسدي الكبير أو حتى بسبب الاختناق. وعن أسباب الحروق قال أبو معتز إن معظم الحالات الواردة كانت نتيجة الخطأ أو العشوائية في استخدام المازوت الأنباري؛ فكثير من الحالات كان يتم فيها تسخين المازوت -لأنه يتجمد بسرعة- على المدفأة نفسها، ما يؤدي إلى الانفجار في حال تجاوز الحرارة حداً معيناً. وترش بعض العائلات المازوت على الحطب وتفل الزيتون في مدافئ الحطب، ما يؤدي أيضاً إلى اشتعال العلبة مع الشخص الذي يقوم بالرش، وغيرها الكثير من العادات الخاطئة.

وبالرغم من أن ارتفاع أسعار الحطب والتفل خلال الفترة الأخيرة، وانقطاع البدائل المناسبة لتعويض التدفئة، كانت الأسباب الرئيسية في زيادة استخدام المازوت الأنباري؛ فإن مسؤولي فرق الدفاع المدني في المنطقة الجنوبية ينبهون إلى ضرورة اتخاذ إجراءات الوقاية اللازمة والكفيلة بإنهاء خطر استخدام هذه المادة. فيجب، بحسب تعليمات الدفاع المدني، عدم تسخين المازوت على المدافئ لتلافي خطر انفجاره، وإنما يمكن وضع العبوات الحاوية على المازوت المتجمد تحت ماء ساخن أو تعريضها لأشعة الشمس. وبدلاً من الرش على التفل والحطب للمساعدة على الاشتعال يمكن تبليل قطع قماشية بالمازوت ووضعها بين التفل أو الحطب في المدفأة. كما يجب إبعاد الأطفال بشكل تام عن التعامل مع هذه المواد الخطرة، لأن نسبة مهمة من حالات الاحتراق نتجت عن عبث الأطفال وعدم اهتمام الأهل ورعايتهم.

الإجراءات الدفاعية لتنظيم الدولة في سورية

علي خطاب

من إصدارات داعش

لا يبدو تنظيم الدولة، في دير الزور والرقة، متفاجئاً من التهديد المباشر لوحدة أراضيه، رغم أنه اتخذ العديد من الإجراءات للحد من آثار الهجمات عليها في قطع امتداده الجغرافي وتقطيع أوصال دولته القائمة على نهر الفرات.

بدأ التنظيم، في كل من الرقة ودير الزور والحسكة وغيرها، بحفر الخنادق ورفع السواتر الترابية، شمال وجنوب وادي نهر الفرات، منذ أشهر طويلة. وزاد في كثافة توزيعها منذ سنة، مع تقدم قوات سوريا الديمقراطية باتجاه الشدادي، ثم مع الهجوم الخاطف لقوات جيش سوريا الجديد باتجاه البوكمال من الحدود الأردنية، منتصف السنة الفائتة. وقد ترددت الأخبار، منذ تلك الفترة، عن فرض التنظيم ارتداء اللباس الباكستاني على سكان المناطق التي يسيطر عليها، على أن الأمر اقتصر عملياً على فرض هذا اللباس في المدن الرئيسية، كالعشارة والميادين والرقة، وهي التي يوجد فيها عناصره بشكل كبير، ويشرف فيها جهاز الحسبة على اعتقال المخالفين، الذين يصل عددهم في بعض الأيام إلى 300 شخص، كما يفيد أحد التجار في مدينة الميادين، تقوم الحسبة ببيعهم اللباس الأسود بـ6500 ليرة سورية، بينما لم يلاحق سكان الأرياف لارتدائه، عدا عن ظهورهم بلباسهم المحلي في الإصدارات والتقارير. وبحسب ما يدور بين الأهالي، فقد توخى التنظيم من فرض توحيد اللباس تجنيب عناصره عمليات الاغتيال من الجو التي بدأ طيران التحالف بتنفيذها بكثافة، حتى صار البعض في المنطقة يدعون طيارة التحالف «أم علي» في دلالة على فعالية ضرباتها.

وتتواتر الأخبار عن حفر التنظيم الخنادق على الحدود الإدارية بين دير الزور والرقة، لأول مرة، وتدمير مناهل الماء (الخزانات المرتفعة) في القرى القريبة من الموقع، قبل بدء الهجمة التي تشنها هذه الأيام قوات سوريا الديمقراطية بمساعدة طيران التحالف الدولي. وتفيد تسريبات عن قيام التنظيم، فضلاً عن إغلاق الحدود العراقية السورية وإعادتها إلى وضعها السابق بالقرب من مدينة البوكمال شرق دير الزور، بنقل وجمع المواد التموينية والقمح مع الذخيرة الخفيفة في مراكز مهمة في المدن الرئيسية، الأمر الذي بدأه التنظيم في الموصل في وقت مبكر بحسب مقربين من قادته في دير الزور، إذ أخذ هناك بنقل المواد وتخزينها فيها منذ سنة على الأقل. ويضاف إلى ذلك في المدن السورية حفر الآبار الارتوازية، وتهيئة الشوارع لخوض حرب عصابات طويلة، إضافة إلى نصب قساطل إسمنتية في الطرق وملئها بالنفط لاستعمال دخانه في التمويه وتضليل الطيران، في عملية تبدو تجهيزاً لانفصال الولايات عن بعضها، وإعداد كل واحدة منها على حدة لاستثمار الموارد الاقتصادية والطبيعية والديمغرافية الخاصة بها. ولا يبدو هذا بعيداً عن التنظيم الذي حاز قادته وأمراؤه في الولايات صلاحيات كبيرة منذ تمدده، ومارسوا سلطات مستقلة، إلى حد ما، بإشراف اللجان المركزية، التي ستتخلى على ما يبدو عن بيروقراطيتها في إدارة الملفات المهمة في ولايات التنظيم الذي ما زال لديه الكثير من الأوراق ليلعبها.

فعقيدة التنظيم، التي يمر من خلالها الدفاع عن النفس، ما زالت تستقطب عناصر محليين، حتى أن الأحاديث تدور عن مئتي شخص من إحدى القرى النائية فقط، سجلوا في قوائم منفذي العمليات الانتحارية. ويأتي خطر الميليشيات الكردية والشيعية، التي دارت منذ مدة إشاعات عن نيتها الدخول إلى سوريا، كعنصر جذب نحو القوة الوحيدة التي تحاربهما وتقف إلى جانب سكان المنطقة في الوقت الحالي. فضلاً عن الهرب من الفاقة الذي يدفع البعض إلى الانتساب إلى صفوف التنظيم، خاصة في مكاتبه الخدمية والإدارية، والذين تحاصرهم أجهزته، في ما بعد، لحمل السلاح والتوجه إلى الجبهات. سيتولى منطق الحرب، حين تقترب، أمر اصطفاف الأهالي، رغم كل الحسابات، لكن يمكن القول بعد الآن إن التنظيم لن يصمد في أي منطقة ما لم يساعده سكانها في ذلك.

بالتزامن مع القصف الجوي والعمليات البرية ضده، وصعوبة تنقل قواته وسلاحه الثقيل، وانخفاض وارداته؛ بدا إعلام التنظيم أقل حماساً من ناحية المعارك التي يخوضها، فراحت تظهر، منذ أشهر، في تقاريره المصورة، صورة نمطية بائسة عن الغنائم، تختلف جذرياً عن الصورة القديمة التي كانت تقدمها إصداراته في السابق، لكنه لم ينس تصوير الأهالي في مناطق المعارك وهم يخوضون الحرب إلى جانبه.

راديو داعش ومجلاتها

6000 نسخة من جريدة النبأ أسبوعياً في الرقة ودير الزور

توزيع جريدة النبأ - من إصدارات داعش

تقرير خاص

إلى جانب استعماله الفعال لشبكة الإنترنت في نشر منتجاته الإعلامية، يعتمد تنظيم داعش في خطابه الموجه لأتباعه السوريين والعرب، ولعامة السكان في المناطق الخاضعة لسيطرته، على وسيلتين رئيسيتين هما إذاعة البيان وجريدة النبأ الأسبوعية، فيما تتوجه المجلات المطبوعة بلغات مختلفة للمهاجرين من غير الناطقين بالعربية ولآخرين من نظرائهم بقصد حثهم على الهجرة.

إذاعة البيان

بعيد سيطرته على مدينة الموصل، وفي الأيام الأخيرة من تموز 2014، أطلق تنظيم داعش إذاعته البيان من الموصل، مستفيداً من المعدات والتجهيزات الخاصة بإذاعات محلية هناك. لاحقاً، ومع استكمال ما يلزم من تحضير تقني، وصلت البيان إلى معظم «ولايات» داعش، وظلت الرقعة الجغرافية التي يغطيها البث متغيرة بتغير الخارطة الجغرافية التي يسيطر عليها التنظيم في سورية والعراق. وحال بثها على الموجات القصيرة FM، واعتمادها على محطات بث وتقوية صغيرة ثابتة أو متنقلة، دون انقطاع البث لأوقات طويلة، رغم وقوعها ضمن أهداف طائرات التحالف.

يتألف البرنامج اليومي لإذاعة البيان من ثلاث نشرات إخبارية تتكرر في الغالب أوقات الصباح والظهيرة والمساء. تستغرق كل نشرة مدة 20 دقيقة تقريباً، وتنقل، بشكل مقتضب، آخر التطورات على جبهات القتال في ولايات داعش المختلفة، متجنبة أنباء الهزائم التي يمنى بها التنظيم، أو تعرضها في سياق يركز على خسائر عدوه، مع إغفال كامل للخسائر البشرية والمادية التي تتكبدها. وتفرّغ نشرات البيان الإخبارية وتوزع ورقياً كخلاصة إخبارية يومية. وإلى جانب الأخبار التي تأخذ ساعة أو أقل من أصل 12 ساعة بث في هذه الأيام، تعاد مسجلة في النصف الباقي من اليوم؛ تحتل البرامج الدينية شبه التعليمية وفق منهج داعش في التوحيد والجهاد والفقه تحت عناوين مختلفة، معظم ساعات البث، إلى جانب تلاوة القرآن والأناشيد، فضلاً عن كلمات خليفة داعش أو الناطق باسمها. وتظهر، من حين إلى آخر، برامج أسبوعية على حلقات، يعاد بث الحلقة منها مرتين أو ثلاثاً كل أسبوع، تتناول شؤوناً مختلفة، مثل برنامج «حزب البعث الكافر: تاريخه ونشأته» و«طبيبك على الأثير» وغيرهما من البرامج التي تحتل جزءاً ضئيلاً من زمن البث.

> أول كل شهر يوزع على النقاط الإعلامية قرص مضغوط DVD يحمل ملفات صوتية لكل ما أذاعته البيان من برامج ونشرات أخبار خلال الشهر السابق. ويعرض المندوبون المتفرغون في النقطة على زوارها نسخ هذا القرص أو تحميل محتوياته على أجهزة الهاتف النقال والذواكر الإلكترونية.

أدى منع التقاط القنوات الفضائية التلفزيونية في مناطق سيطرة التنظيم، ومراقبة تصفح الإنترنت وحصره في أمكنة محددة، وكذلك غياب الإذاعات أو ضعف ترددها أو التشويش عليها في المناطق المتاخمة لأراض تسيطر عليها قوى أخرى، إلى جعل البيان الإذاعة الوحيدة التي تمكن متابعتها في مناطق داعش السورية، في المنازل أو في الأمكنة العامة ووسائط النقل التي يتجنب سائقوها البحث عن إذاعات أخرى قد يتاح التقاطها على الطرق الطويلة والطرفية، خشية المساءلة.

يصعب تقدير درجة متابعة السكان لهذه الإذاعة. لكن محتواها الفقير، وتغطياتها الخبرية المنحازة والمجتزأة، فضلاً عن الموقف العام المضمر المناهض للتنظيم، إضافة إلى تراجع ثقافة الإذاعات أو عادة الاستماع إليها، مع المصاعب الأخرى من توافر أجهزة الراديو وارتفاع أثمانها - نسبياً- إضافة إلى انقطاع التيار الكهربائي لوقت طويل؛ سيقلص بلا شك عدد المتابعين المحتملين بما يفرضه احتكار إذاعة داعش للأثير.

جريدة النبأ

تصدر النبأ عن ديوان الإعلام المركزي للتنظيم. وظهرت أول مرة في «الولايات» السورية على شكل نشرة ورقية تجريبية في آب 2015، قبل أن ينتظم إصدارها في الربع الأخير من ذلك العام، لتصدر أسبوعياً كل ثلاثاء، ثم تغير الموعد إلى الخميس قبل خمسة أشهر من اليوم. في الأعداد العشرة الأولى تألفت صحيفة النبأ من 12 صفحة، ثم زادت إلى 16. يطبع منها في «ولايتي الخير والرقة»، حسب مصادر خاصة، ما يزيد على 6000 نسخة يبدأ توزيعها بعد

صلاة الجمعة في النقاط الإعلامية وفي الأسواق والأمكنة العامة في المدن والبلدات وعلى السائقين، وعلى المقاتلين في الجبهات، فضلاً عن مقرات داعش ومكاتب دواوينها.

تأخذ الأخبار العسكرية من جبهات مختلفة في «الولايات» القريبة في سورية والعراق، وفي «ولاياتها» أو فروعها البعيدة بقدر أقل، 8–7 صفحات غالباً من كل عدد. وعلى الصفحة الثانية من كل إصدار يعرض إنفوغراف إخباري يلخص خسائر العدو في معركة ما، أو وقائع جبهة خلال مدة محددة. وبعد الصفحات الإخبارية تحتل ما يسميها محررو النبأ «مقالات» حوالي 4–3 صفحات تتناول موضوعات جهادية وعقائدية ووعظية في الغالب، وتقل المقالات التي تتناول موضوعات أخرى. وتظهر، بين عدد وآخر، «تحقيقات» هي أقرب إلى الدعاية بما تعرضه من آراء ومواقف تؤيد التنظيم تأييداً مطلقاً. كما تظهر، بتواتر أقل، لقاءات مع أمراء وقادة لداعش، وكذلك سير بعض القادة والأمراء المقتولين تحت باب «قصة شهيد»، دون أن تكشف عن جوانب هامة من تلك السير في معظم المرات. وتعرض الجريدة أحياناً قصصاً منتقاة من التاريخ الإسلامي في موضوع الجهاد. ويظهر على الغلاف الأخير إنفوغراف ديني تعليمي في الغالب، يشرح حكماً معيناً أو يعرض أحاديث أو أقوالاً مأثورة في موضوع معين لبعض علماء المسلمين القدماء أو المتأخرين الذين تعتمدهم داعش. وتتخلل الصفحات الداخلية دعاية عن آخر الإصدارات المركزية أو الفرعية عن المكاتب الإعلامية للولايات.

دابق وأخواتها

بدأت مؤسسة الحياة، وهي أحد الأذرع الإعلامية الرسمية للتنظيم، الموجهة لغير الناطقين بالعربية، أول إصداراتها المكتوبة مع مجلة دابق في حزيران 2014، إلى أن توقفت في الشهر ذاته من العام الماضي. وخلال عامين من عمر دابق انتظم إصدارها شهرياً لمرتين فقط، في الأشهر الأربعة الأخيرة من عام 2014، ولخمسة أشهر متتالية ابتداء من شباط 2015. ونالت دابق، الصادرة بلغات عدة، قدراً كبيراً من الرصد والتحليل في وسائل الإعلام المختلفة. وبعد دابق أصدرت الحياة مجلة المنبع باللغة الروسية بعددين في العام 2014، وعدد واحد في كل من العامين اللاحقين. وفي شباط 2015 أطلقت مؤسسة الحياة مجلة دار الإسلام باللغة الفرنسية، وصدر منها في ذلك العام 7 أعداد، وعدد واحد في العام اللاحق. وفي حزيران 2015 أطلقت الحياة مجلة القسطنطينية باللغة التركية، وصدر منها إلى حين توقفها في آب الماضي 7 أعداد. ركزت المنبع ودار الاسلام والقسطنطينية على الشؤون الجهادية في كل بلد من البلدان الثلاثة (روسيا وفرنسا وتركيا)، إضافة إلى الدعاية اللازمة لـ«دولة الإسلامية» وخلافتها.

> بعد العدد 15 أكدت مؤسسة الحياة على قناة ناشر نيوز الإنكليزية في تلغرام أن هذا العدد هو الأخير من مجلة دابق، محذرة من ظهور إصدارات مزيفة للمجلة لاحقاً.

لاحقاً، وفي ما يبدو أنه وراثة لكل المجلات السابقة، أطلقت مؤسسة الحياة، في أيلول الماضي، مجلة «رومية» الشهرية بـ8 لغات، لتصل إلى 10 في العدد الخامس والأخير. تنقل رومية بعض المواد المنشورة في جريدة النبأ من لقاءات ومقالات دعوية، مترجمة إلى اللغة الخاصة بكل نسخة، كما تأتي الدعاية لداعش والدعوة للانضمام إليها ونصرتها كمحور رئيسي في معظم موادها المنشورة التي تتناول موضوعات مختلفة في الفضاء الجهادي وفق خط داعش. تتطابق معظم مواد النسخ المختلفة، مع تخصيص مادتين لكل نسخة من اللغات العشر. وفي بعض النقاط الإعلامية في المدن التي يكثر فيها المهاجرون من جنسيات غير عربية يخصص ركن لتوزيع هذه المجلات الأجنبية المطبوعة.

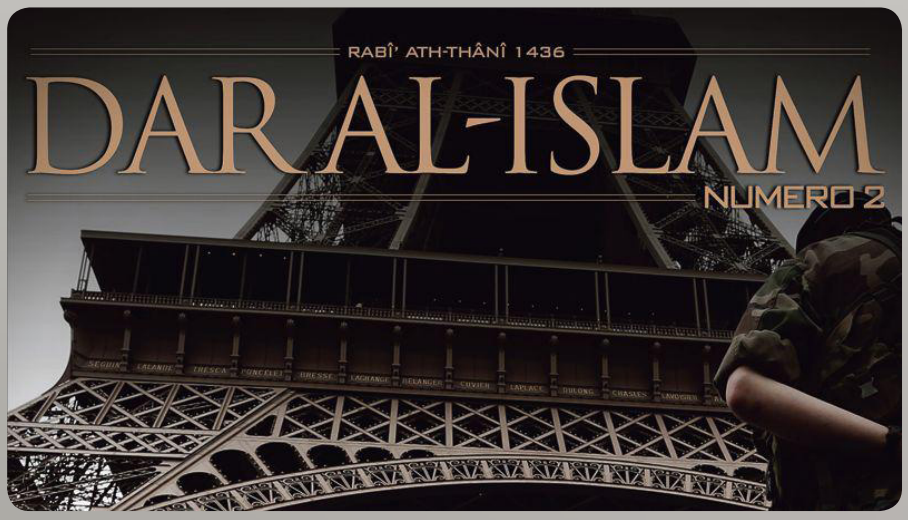

الطبقة.. ويكيبيديا الحلم الضائع

أرشيف خاص

لم ترتبط مدينة في سورية بمَعلم تاريخي أو اقتصادي أو اجتماعي من معالمها كما ارتبطت مدينة الطبقة بسد الفرات. يصعب ذكر الطبقة دون السد ولا يمكن الحديث عن اجتماع أو اقتصاد أو سكان فيها دون الرجوع إليه. فالطبقة بنت السد وقبله لا شيء، قرية صغيرة على الضفة اليمنى للفرات لا يتجاوز عدد سكانها بضعة آلاف من عشائر ريفية محلية، مثلها كمثل بقية القرى والبلدات في وادي الفرات.

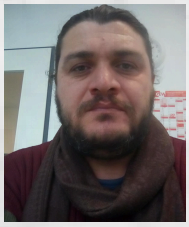

عساف العساف

سد الفرات مشروع قديم فرضته طبيعة النهر وسلوكه، فقد شكل فيضانه رعباً موسمياً في حياة السكان على امتداد الحوض النهري الواسع. ظهرت فكرة السد بعيد الاستقلال، وطرحت -حسب ما يقال- منتصف خمسينيات القرن الماضي على حكومة خالد العظم، ثم في عهد الوحدة مع مصر تيمناً بالسد العالي على نهر النيل، ثم مع الانفصال وحقبة البعث الأولى بعد العام 1963. إلا أن الفكرة لم تبصر النور إلا في زمن حكومة الدكتور يوسف زعين، ابن مدينة البوكمال الفراتية، وهو المدرك لأهمية هكذا مشروع بحكم نشأته وأحلامه التحديثية التي أجهضت باكراً. في العام 1968 وقع بروتوكول التعاون مع الاتحاد السوفييتي لإنشاء السد، بعد اقتراحات أن يُنشأ بخبرات غربية فرنسية وألمانية. ويدحض هذا التاريخ المزاعم الشائعة بأن السد من منجزات حافظ الأسد وحركته التصحيحية، تلك المزاعم التي تبناها تكريساً للدعاية الأسدية آخرون من خارج دائرة النظام، مثلما فعل مذيع ومعدو برنامج «رحلة في الذاكرة» على قناة روسيا اليوم عندما استضافوا كبير مهندسي السد، غينادي نيفيودوف، الذي سايرهم في مغالطتهم التاريخية الرخيصة عن وقت انطلاق المشروع.

شخصياً قدم والدي للعمل في السد، مع آلاف غيره، عام 1969، وشقيقتي الكبرى ولدت هناك قبل انقلاب حافظ الأسد بشهور طويلة. إلا أن هذا لا يمنع من القول إن حكومة الأسد استثمرت إعلامياً واقتصادياً وسياسياً في السد وقيمته كمشروع نهضوي وتنموي، كحامل لمشروعها السياسي في الاستيلاء والاستحواذ على السلطة الكاملة في سوريا. إذ خصصت الحكومات المتعاقبة في بداية حكم الأسد وزارة خاصة لسد الفرات تبوأ كرسيّها عدد من الشخصيات الهندسية المهمة مثل صبحي كحالة، المهندس المعروف والمشهور، ولم تلغَ هذه الوزارة إلا بعد الانتهاء من بناء السد وتشغيل مولداته الكهربائية عام 1978.

يذكر أهل الطبقة الأوائل الشخصيات السياسية والاجتماعية المهمة التي كانت تزور الطبقة والسد في تلك الفترة، فالدكتاتور الروماني تشاوشيسكو مشى في شوارع الطبقة، وكذلك فعلت فالنتينا تشيركوفا أول رائدة فضاء في العالم. كان مشروع السد أفضل ما يمكن تقديمه لزوار سوريا الأسد في تلك الفترة. ولا غرابة أن يكون السد موضوعاً أدبياً وفنياً لكثير من الأعمال، كفيلم المخرج السوري الراحل عمر أميرلاي «محاولة عن سد الفرات»، وهو فيلمه الأول، عام 1970، والذي سيتبعه لاحقاً بفيلم آخر بالرؤية ذاتها هو «الحياة اليومية في قرية سورية»، ثم بفيلم «طوفان في بلاد البعث» برؤية نقدية للنظام انطلاقاً من هذا المشروع. وكتب فارس زرزور روايته «آن له أن ينصاع» عن السد وحياة الناس في الطبقة والمنطقة، كما كتب عبد السلام العجيلي رواية «المغمورون» عن أهل الغمر الذين غطت قراهم بحيرة السد وهجّروا من أراضيهم وقراهم إلى مناطق الحسكة، كما كتب نزار قباني قصائد يتغزل فيها بالسد والحلم الذي يحمله هذا المشروع. كان أهل الطبقة في السبعينات يشعرون أنهم في مركز سوريا والعالم.

وصل عدد سكان الطبقة إلى ما يقارب المئة وخمسين ألفاً توزعوا على مدينتين متجاورتين ببلديتين منفصلتين قبل أن تندمجا في بلدية واحدة؛ الطبقة القديمة، أو القرية كما تسمى محلياً، والثورة، وهي المدينة الحديثة التي بنيت بجوار السد بأحيائها المنظمة وشوارعها العريضة وتصميمها المستوحى من مدن العمال والموظفين السوفييتية، حيث تتجمع المساكن والأبنية حول سوق مركزي ومجمعات تعليمية وملاعب. يغلب على القرية أو الطبقة القديمة البناء الريفي الأقرب إلى العشوائي، قبل أن تظهر لاحقاً أبنية حديثة بناها أهلها الذين يغلب فيهم العنصر المحلي من أبناء المنطقة وعشائرها من الولدة والبوجابر والناصر والحويوات وغيرهم، وحتى سكان الغمر الذين عاد بعضهم واستقر فيها، مع عدد كبير أيضاً من أبناء المحافظات الأخرى العاملين في السد وغيره من المؤسسات الحكومية الناشئة. أما القسم الحديث

من المدينة فيغلب عليه الوافدون من المحافظات الأخرى أو حتى من خارج البلد. كانت الطبقة مزيجاً واسعاً من البشر على اختلاف انتماءاتهم المناطقية والعرقية والدينية والمذهبية؛ حلبيون ودمشقيون وحماصنة وديريون وأدالبة وحوارنة ولاذقيون، عرب وكرد وشركس وشيشان وآشور وتركمان وسريان، مسيحيون ومسلمون، سنة و شيعة وعلويون ودروز وإسماعيليون وإيزيديون، فلسطينيون وعراقيون وسوفييت أيضاً. كنا نسميهم الروس، وكان لهم حضور قوي في حياة الطبقة وأهلها. وصل عددهم في بداية المشروع إلى بضعة آلاف، وكانت لهم منشآتهم الخاصة؛ مدرسة الروس وملعب ومسبح وسينما الروس. تعلم الكثير من أهل الطبقة، وخاصة أصحاب المحلات التجارية، اللغة الروسية جراء اختلاطهم واحتكاكهم مع هؤلاء. وتكلم أبناء الوافدين إلى الطبقة لهجة خاصة هي مزيج مخفف من لهجات سورية مختلفة. تنوع المنابت، مع حضور السوفييت، أعطى المدينة -مع بعض المبالغة- طابعاً كوزموبوليتياً من نوع خاص، وأخذ مجتمعها الوليد صبغة مدنية حديثة غلبت إلى حد ما حمولات السكان من مجتمعاتهم الأصلية، خاصة في عقدي السبعينات والثمانينات من القرن الماضي. ولعب عاملان رئيسيان دورهما في تشكل مجتمع الطبقة وفق صبغته تلك؛ أولهما المنبت الطبقي والمناطقي المتشابه للوافدين، فغالبيتهم جاؤوا من الأرياف السورية من بيئات فقيرة، أو متوسطة بنسبة أقل، وصاروا موظفين حكوميين ينتظرون معاشاتهم آخر كل شهر، ويعيشون في جو واحد وظروف متشابهة هي أفضل بطبيعة الحال من ظروفهم السابقة من ناحية السكن والخدمات والصحة والتعليم الذي كان مختلطاً للذكور والإناث خلافاً لمعظم المناطق السورية آنذاك. وثانيهما هو ما مثله العمل في السد من قيم مفترضة في النهضة والتنمية والتغيير، منحت الجميع مشاعر بالأهمية والرضى عن الذات الفردية والعامة. إذ لبى السد معظم احتياجات البلاد من الطاقة الكهربائية، وكان مفتاح سلسلة مشاريع الري واستصلاح الأراضي في محافظة الرقة والريف الشرقي لمحافظة حلب. وبسواعد عمال سد الفرات وخبراتهم أنشئ سدان آخران هما تشرين والبعث على النهر نفسه. وكانت الشركة العامة لاستصلاح الأراضي والمؤسسة العامة لسد الفرات من أغنى شركات القطاع العام في سورية، قبل أن تفرض الطبيعة الفاسدة للنظام آثارها لتتحول هذه المنجزات من مؤسسات وطنية ناجحة إلى ما يشبه الإقطاعات الخاصة للأعيان الجدد المرتبطين برؤوس النظام.

أزيلت هذه اللوحة بعد انقلاب حافظ الأسد - أرشيف خاص

وابتداء من عقد التسعينات، ومع انضمام الآلاف من أبناء الموظفين الأوائل إلى سوق العمل، وتقلص الفرص المتاحة أمامهم للتوظيف في القطاع العام، وتآكل الصورة الواعدة التي انطلقت بها؛ صارت الطبقة مكاناً نابذاً لأبنائها الشباب الذين اختاروا بمعظمهم الرحيل بحثاً عن مستقبل في المدن الكبرى أو حتى في المدن الأصغر القريبة من الأرياف التي جاء منها الآباء.

ذهبت الأوهام والخطط الخمسية بأن يكون السد ومدينته قاطرة نهضة في وادي الفرات، إذ تباطأت الاندفاعة قبل أن تتوقف وترتد عكساً بتملح مساحات شاسعة من الأراضي المستصلحة. شاخ العمال والموظفون الأوائل وعاد بعضهم أدراجه بعد التقاعد إلى ديارهم الأولى، أو ظلوا شهوداً على صعود حلم الفرات ثم تلاشيه، مثلما تلاشت أحلام كثيرة في سوريا حافظ وبشار الأسد. وكبر الفتية والأطفال السعداء على الطريقة التمثيلية السوفييتية ليصيروا رجالاً يبحثون بعيداً عن حياة أخرى ستفرض عليهم استعادة الهويات السابقة.

قامت الثورة في سورية وشارك أهل الطبقة، خاصة من أبنائها المحليين، بمظاهرات عديدة وإن كانت قليلة. واعتقل كثير من أبنائها سواء المحليين أو الوافدين، ومنهم على سبيل المثال أبو علي، فائق المير، القيادي النشيط في حزب الشعب، والذي كان مكوكاً حقيقياً في نشاطه الثوري في أكثر من مكان في سورية، واعتقل أثناء تنقله بين دمشق والغوطة قبل أربع سنوات دون أي خبر عن مكان اعتقاله حتى الآن.

تحررت الطبقة من قبضة النظام بداية العام 2013 بيد فصائل مختلفة من أبنائها ومن مناطق أخرى، وأخذت تتعرض لقصف شديد من طيران النظام وآلته الحربية، ما جعل المخاوف حقيقية من أن يطال القصف بنية السد وتحدث كارثة بيئية مدمرة. نشأت في الطبقة تجربة حكم محلي قصيرة ومتعثرة، قبل أن تقع المدينة تحت قبضة تنظيم داعش أول العام 2014.

زيارة وزير خارجية الهند عام 1978 - أرشيف خاص

خواطر لاجئ سوري في تركيا

أبو محمد الإدلبي

للعينين فعل لا إرادي دائم هو إطباق الجفون وفتحهما. ولكن كم تمنى من أعماق قلبه أن يتوقف هذا الفعل لدقائق! أن «يغرف» أكبر قدر ممكن من صور الناس الطيبين والبسطاء في قريته!! أكبر قدر ممكن من الشوارع والبيوت والحقول في بلاده! هي ما تُسمّى نظرة الوادع.

هكذا كان يفكر ذاهلاً والسيارة تمضي به ضمن الأراضي السورية للمرة الأخيرة مُقتربة من الحدود التركية في رحلة علاجه من مرض الفشل الكلوي. «لم أرَ أرضاً رويت بالدم والشمس كأرض بلادي. ولم أرَ حزناً كحزن الناس فيها، ولكنها بلادي. لا أضحك من القلب، ولا أبكي من القلب، ولا أموت من القلب.. إلا فيها». كان يستعيد هذه الأبيات بصمت، بحزن، والعبرات تملأ صدره. يخشى من البكاء كي لا يراه ابنه الذي كان معه في السيارة لوداعه عند الحدود. بكى ابنه محمد كثيراً، توسّل إليه أن يأخذه معه، لكن لم يكن ثمة مجال. لم يحصل على موافقة لذهاب مرافق، ناهيك عن أنه لم تكن هناك إمكانية لذلك. قال لابنه ذي الرابعة عشرة بحنان: «بقاؤك هنا ضروري لأمك وإخوتك، فمن سيعمل ليقدم لهم ما يحتاجونه؟ نعتمد عليك وعلى أخيك التوأم أحمد كثيراً في المنزل». بكى ابنه كثيراً. كان متعلقاً به منذ صغره، يذهب معه أينما ذهب.

وصل إلى تركيا وكان شقيقه الأكبر بانتظاره. تعذّب كثيراً. الحياة في تركيا مكلفة بالنسبة إلى السوريين. المواصلات والدواء والطبابة متعبة ومكلفة وتحتاج إلى «كيملك» أولاً، والحصول على «كيملك» صعب في هذه الأيام ويحتاج وقتاً وصبراً. قال له صهره عبد الرزاق وصديقه حسن: «اذهب إلى تركيا وحاول أن تزرع كلية هناك. سنحاول أن نجمع لك تبرعات هنا ونرسلها لك مهما كان المبلغ كبيراً، عدا عن أنه في تركيا توجد منظمات وهيئات إنسانية لا بد أن تساعدك». ضحك من هذا الكلام وقال لهما: «أريد أن أبقى هنا لبقية عمري وأن أموت بين أهلي». قالوا له: «لن تخسر شيئاً. على الأقل ترى إخوتك الثلاثة وتُغيّر الجو الذي تتقوقع فيه. وإن لم تنجح في العلاج عد إلى سوريا. اعتبرها مناسبة لرؤية إخوتك وأصدقائك». كانت هذه الفكرة هي الوحيدة المُقنعة. يرغب بشدة في رؤية أخيه الأكبر، يحلم أن يجلس معه في الصباحات الجميلة ليشربا القهوة والمتّة سوياً مع عدة لفافات من التبغ ويتبادلا الأحاديث.

بعد أيام وصل إلى تركيا، وبعد أيام قليلة أخرى بدأ الشوق لأولاده وزوجته يحرقه. طلب من صهره أن يرسلهم إلى تركيا، وفعل. مضت عليه الآن حوالي خمسة أشهر هنا. يذهب أولاده الصغار إلى العمل، يتمزّق ألماً عليهم بعد أن كانوا متفوقين دراسياً في طفولتهم أصبحوا الآن يعملون من الصباح حتى المساء. يصلون مُرهقين، يتناولون طعامهم ثم يخلدون إلى النوم. حياة بائسة!! لقد فقدوا طفولتهم كحال معظم أطفال سوريا. في بلادهم تلاحقهم الطائرات والمدفعية والدبابات والقناصات، وفي بلاد التيه يلاحقهم أرباب العمل والخوف من الغد، يظهر رأس المال المتوحش في أبشع صوره.

يعيش الآن في منزله المتواضع مع مرضه وأفكاره الحزينة. كم يتمنى أن يكون في قريته! كم يحب أن يسمع أذان الفجر فيها! سمع الأذان كثيراً في تركيا لكنه لم يشعر ولا لمرة واحدة بتلك النكهة التي تعوّد عليها! الأذان في سوريا مختلف. يجلس الآن في غرفته وحيداً. كثيرون من أصدقاءه لم يتصلوا به حتى! هم متفرغون «للنضال» في تركيا وفي البلاد الأوروبية! لا وقت لديهم للسفاسف! الجميع ينتقد الجميع. والجميع يشكون الأوضاع الصعبة. معظمهم غادر سوريا بعد قيام الثورة بقليل، ثم يتكلمون الآن بسخرية عن رعاة الأغنام وباعة الخضار وعمال البناء لأنهم يقودون الثورة!

يعتقد الطغاة أنهم باقون إلى الأبد يحكمون «العبيد» المُسخّرين لخدمتهم، غير أن الشعوب تستكين إلى حين ثم تهزأ من طغاتها وتثور عليهم وترميهم في مزابل التاريخ. يمشي في الشوارع ويدندن بتلك الأغنية: «سوف يأتي كالربيع، سوف يأتي كالأغاني، حاملاً في كل جرح وردة مثل الأماني. سوف يأتي، خبرتني حلوة كانت هناك. سوف يأتي، خبرتني أغنيات العاشقين».

هل توجد قوات صينية في سورية؟

Getty Images

منذ بداية ثورة الحرية والكرامة والصين تعمل في ظل الحليف الروسي الأقوى على الأرض السورية، متخذةً موقفاً براغماتياً مراوغاً، معلنةً أن ما يحدث هناك شأن داخلي بحت، وأن «مستقبل البلاد يختاره السوريون أنفسهم»، وبالتالي تركت لنفسها حرية المناورة في حال الإطاحة بنظام بشار الأسد. ما يذكرنا بموقفها من القذافي، فعلى الرغم من وعده للشركات الصينية بتوفير حوافز مجدية لإنتاج النفط الليبي في حال انتصاره على معارضيه، إلا أن بكين لم تقدم له أي مساعدة عسكرية تذكر!

د. علي حافظ

تابعت بكين سيرها على خطى الدب الروسي في دعم الأسد سياسياً ودبلوماسياً في المحافل الدولية، فاستخدمت حق النقض «الفيتو» معه ست مرات خلال أعوام 2011 . 2017، من أجل وقف إدانة الأسد، أو محاربته، أو إحالة ملفه الإجرامي إلى المحكمة الجنائية الدولية...

في نهاية عام 2015 وصل وليد المعلم، وزير خارجية الأسد، إلى بكين، طالباً من الحكومة الصينية تقديم مساعدات عسكرية لرئيسه، بغية الوقوف في وجه معارضيه الذين باتوا يسيطرون على مساحات واسعة من الأرض السورية. إلا أن طلبه لم يلق حينها آذاناً صاغية، فلم ترسل بكين قواتها المسلحة للدفاع عن الأسد كما فعلت روسيا، واستمرت فقط في إرسال المعدات العسكرية والمساعدات الإنسانية والمالية. وحتى نظم الإمداد العسكري كانت محدودة وقديمة ومستعملة، واقتصرت على المركبات والأسلحة الرشاشة الصغيرة والأسلحة المضادة للدبابات والمدفعية...

في الوقت نفسه أعلنت بكين اعترافها صراحة بحكومة بشار الأسد على أنها القيادة الشرعية الوحيدة في دمشق، ودعمت العملية العسكرية الروسية في سورية على لسان الممثل الرسمي لوزارة شؤونها الخارجية هو جين تاو: «إن بكين تدعم حرب روسيا ضد «الدولة الإسلامية» في سورية»، موضحاً أنه يجب الانتباه إلى حقيقة أن العملية العسكرية الروسية في سورية جاءت بناء على طلب الحكومة الرسمية؛ متناسياً أن الضربة الروسية كانت موجهة أساساً ضد الجيش الحر والفصائل الإسلامية المعتدلة.

أجرت القوات البحرية الروسية والصينية مناورات عسكرية مشتركة في البحر المتوسط بداية تشرين الأول 2015، إذ دخلت حاملة الطائرات الصينية «لياونينغ» ميناء طرطوس بعد بدء عمليات الجيش الروسي هناك. وكذلك قامت الصين ربيع عام 2016 بتعيين مبعوثها الخاص إلى سورية، في إشارة واضحة إلى توسع نشاطها الدبلوماسي، إضافة إلى استمرار عمل سفارتها في دمشق؛ مما يدل على إبداء القيادة الصينية اهتماماً متزايداً بتلك المنطقة.

وذكرت وكالة أنباء «شينخوا» الصينية أن الأدميرال غوان يوفيه -رئيس مكتب التعاون العسكري الدولي- زار سورية في النصف الأول من آب 2016، والتقى وزير دفاع الأسد فهد جاسم الفريج. ومن بين الأمور التي ناقشها الطرفان «إرسال مجموعة من المستشارين العسكريين الصينيين إلى سورية». وبعد ذلك استضافت دمشق اجتماعاً سرياً للأدميرال مع مسؤول عسكري روسي رفيع المستوى، لم يتم الكشف عن تفاصيله.

كذلك صرحت تلك الوكالة أن المدربين الصينيين سيشاركون في إعداد الجيش السوري، وفي العمليات الإنسانية، وليس من المتوقع أن تكون هناك مشاركة مباشرة للبحرية أو جيش التحرير الشعبي الصيني في الصراع السوري. يعني هذا أن أجهزة الاستخبارات الصينية، التي ترصد نشاطات عناصر «الحزب الإسلامي التركستاني» الموجودين في مناطق جسر الشغور، لن تكون قادرة وحدها على العمل في المنطقة، بسبب غياب الوجود العسكري للجيش، والمسافة الكبيرة التي تفصلها عن حدود بلدها البعيدة.

ربما تكمن الحقيقة في مكان ما في الوسط. لذلك، حتى جريدة «غلوبال تايمز» (التي تعد أكثر المطبوعات قومية في الصين) قالت: إن مسؤولية المدربين الصينيين ستشمل تدريب القوات السورية على استخدام الأسلحة الصينية، مثل بنادق القنص والصواريخ المضادة للدبابات والمدافع الرشاشة. وبالتالي، فمن المرجح أنه في سياق هذا التدريب سيكون الخبراء العسكريون بالقرب من خطوط الجبهات. أضف إلى أن الأسد تسلم دفعة محررة من الأسلحة الصينية الجديدة نهاية عام 2016.

رغم انضمام الصين غير المباشر إلى الاتحاد الروسي الإيراني الأسدي إلا أن الأمر معقد نوعاً ما بسبب عوامل سياسية خارجية عدة. فمن الواضح أن بكين غير مستعدة للتدخل بنشاط في الشرق الأوسط، ولذلك نجدها تتريث كثيراً حتى ينقشع الضباب وترى كيف تؤول الأمور، خوفاً من إفساد علاقاتها مع المملكة العربية السعودية التي تحصل منها على النفط الرخيص، وكيلا تدخل في صراع مع تركيا أو مع إسرائيل. فهذه الدول ترتبط بشراكة تجارية مهمة معها، ومصالحها في الصراع السوري معقدة جداً ومتناقضة وغير واضحة تماماً.

غياب السياسة في سورية وآثاره المدمّرة

أحمد عيشة

ليس فقط المهتمون بالشأن العام، كما يُطلق عليه، وإنما صار الكثيرون يدركون أثر غياب السياسة عن المجتمع السوريّ. بمعنى اهتمام ومشاركة الناس، جميعهم أو غالبيتهم، في صنع القرار في بلدهم، وإمكانية التفكير في، أو القدرة على، محاسبة المسؤولين في حال ارتكابهم الأخطاء، دون التعرّض لأي شكلٍ من أشكال العقاب الجسديّ والمعنويّ.

بالطبع، صار معروفاً أن نظام الاستبداد الأسديّ، طيلة أكثر من أربعة عقود، عمل عن قصدٍ وبكل الوسائل العنيفة والناعمة على إقصاء الناس عن الاهتمام بشؤون حياتهم العامة وحقوقهم. ومنذ استيلاء العسكر على السلطة كان التوجه واضحاً، الاحتواء أو الخنق، بدءاً من الرشاوى إلى شراء الولاءات والذمم وتشكيل شبكات المحسوبيات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تدور في فلكه من جهة، ومن الجهة الثانية استخدام وسائل العنف والقسر المتعددة، من الاعتقال حتى الموت، تجاه الذين رفضوا قاعدة الإخضاع التي يفرضها على الجميع.

كانت نتائج هيمنة العسكر ومخبريهم على المشهد السياسيّ كارثية، إذ أبرزت الغياب شبه التام للسياسة ومن ثم لاستراتيجيات وأدوات العمل السياسيّ، ما أعاق ممارستها بمحدداتها الطبيعية كعمليةٍ سلميةٍ هدفها إدارة الصراع بين قوى المجتمع وصولاً إلى تحديد ما هو الصالح العام وكيفية التوصل إلى توافق حوله، مما يجعلها عمليةً أخلاقيةً ونفعيةً، ذات منظومةٍ من الضوابط والحوافز، في سعيها نحو البحث عن مساحاتٍ مشتركةٍ بين الفرقاء، ورفض العلاقات المطلقة خارج الوقائع، والتي كثيراً ما تؤسّس للنزوع نحو الاستبداد، وصولاً إلى خنق الآخر وإلغاء الحالة الطبيعية للمجتمعات وهي التعددية والاختلاف.

مع اندلاع الثورة اتضح أن النظام، بتركيبته العائلية والطائفية، لن يتعامل بشكلٍ سياسيٍّ مع شعارات المتظاهرين بوصفها مطالب تمثل هموم أغلب الناس وتتلخص في الحرية والكرامة، بل كان خياره استمرار عملية نفي المجتمع التي تتلخص في استخدام كل أشكال المواجهة مهما كلفت البلد بما فيها حرقه، وفقاً للمقولة التشبيحية المعروفة: «الأسد أو نحرق البلد». ولذلك فقد بنى استعداداته اعتماداً على الخيار الأساسيّ: إقصاء جميع من لا يخضع لمنظومته وبكل الوسائل.

نتيجة تلك الخيارات التدميرية والمفرطة في استخدام العنف التي انتهجها النظام منذ البدايات، زمن التظاهرات السلمية، تطورت مسارات الثورة لاحقاً نحو أشكالٍ من المواجهة العنيفة أو ما يطلق عليه «العسكرة»، بمعنى مواجهة قوات النظام بالسلاح كوسيلة دفاع أولاً، ثم كطريقة تحرير لمناطق جديدة، واعتماده مؤخراً كوسيلةٍ وحيدةٍ لمواجهة النظام.

راقت هذه المرحلة، أو تناغمت مع عقلية الإسلاميين الجهاديين الذين وجدوا، نتيجة ظروفٍ وأسبابٍ عدة، أن بإمكانهم مواجهة النظام لامتلاكهم رؤيةً نظيرةً لرؤيته، فلديهم التصوّر الكامل عن نمط الحياة وهو مستوحىً من السلف، وفي الحياة الآخرة هناك الجنة لأنهم يجاهدون في سبيل الله. بمعنى أن تصوّرهم يجيب إلى حدٍّ كبير عن أسئلة الدنيا والآخرة، هذه الرؤية الشاملة جعلت منهم شريكاً في تغييب الحياة العامة لصالح الحياة التي تفرضها «الجماعة» وفق فهمها للشريعة الإسلامية.

توّجت هذه المرحلة المستمرّة منذ حوالي خمس سنواتٍ بمصادرة الحياة العامة، تحت سيادة لغةٍ وحيدةٍ للتحاور وهي لغة السلاح، إذ انتقل الصراع إلى مستوىً آخر لا يقبل فيه أيّ طرفٍ الآخر، بل يعتمد في وجوده على نفيه. ولم تقتصر تلك العلاقة على النظام ومعارضيه، بل انتقلت إلى الوسط المعارض ذاته.

في هذا المستوى، الذي طبع المرحلة بلغته، كان الخطاب السياسيّ مرافقاً وتابعاً للحال العسكريّ على الأرض، طالباً بتملق ودّه ورضاه، متخلياً بشكلٍ طوعيٍّ عن مجاله لصالح غيره، مما أفقد الثورة مجالاً حيوياً يمكن أن يحفز المجتمع بشكلٍ لا يقل عن غيره من المجالات إن لم يكن أهمها. إلى درجةٍ تراجعت معها العملية السياسية إلى شكلٍ مبتذلٍ ينحصر في حيزٍ ضيقٍ لا يتعدى غرف المساومات لصالح الغير أولاً، ولصالح البلد في حال تقاطعت مصلحتها أو كانت ضمن اهتمام الغير.

لقد أسس النظام، ونجح تماماً، في إلغاء الحياة العامة، أي السياسة بمعنى العلاقة المدنية بين البشر وتنظيماتها وفق قواعد تتيح للجميع التعبير عن آرائهم مهما كانت درجة الاختلاف والمغايرة، والإقرار ثانياً بالسعي إلى التفاهم والتعاون بينهم وصولاً إلى حلولٍ وسط ناتجةٍ عن تسويةٍ ما. فالسياسة في النهاية هي عمليات صراعٍ وتسوياتٍ مؤقتةٍ أو دائمة، وليست ممارساتٍ عقائدية.

لم تكن الأحزاب التقليدية المعارضة بكل تلاوينها (يسارية وقومية وإسلامية) بعيدةً عن ذلك، فعدا عن تخندقها وراء أيديولوجياتها كانت نزعاتها النخبوية تعيق مشاركتها في الحياة العامة ما لم تضمن مكان الصدارة. والأيديولوجيا كفيلةٌ بإيجاد التبريرات لها كأحزاب طليعية أمام شعبٍ ومجتمعٍ متأخرين وفي حاجةٍ إلى طليعةٍ من نوعٍ ما وبمواصفاتٍ محددةٍ لنقل وعيها إليه، أو لتثويره. هذا الوعي الذي تعجز العامة عن إدراكه دون وسيط، وشكل الوسيط متغيرٌ من النخبة إلى الطليعة إلى القيادة، دون نسيان دور الإمام، وكلهم معصومون عن الخطأ. ولسوء حظ هذه النخبة لم تسعفها السنين في تثوير أحد، فعندما أتت اللحظة الثورية في سورية وغيرها من البلدان العربية كانت أولى كلمات خطابها أنها فوجئت!

وأمام مفاجأتهم ونزعاتهم النخبوية وبنيتهم الهرمة، كان من الصعب على قادة هذه الأحزاب النخبوية السير خلف الشارع وتشكيلاته المختلفة جوهرياً عن بنيتهم، وهم المحكومون بأن يكونوا قيادةً وطليعة، فاتسمت علاقتهم بالثورة بالشك والريبة، ولم ترتق أبداً إلى مستوى المشاركة التي تقتضيها آلية العمل السياسيّ.

أما الفصائل العسكرية، التي تكاثرت بشكلٍ لا مثيل له رغم الاعتماد على عقيدةٍ واحدةٍ هي الإسلامية، فكان من مصلحتها أن تبعد البشر عن ممارسة حقهم ما لم يشاركوا في العمل الذي اختارته، وهو العسكريّ، رافعة خطاب المواجهة المسلحة إلى مرتبة التقديس بحجة العنف المفرط للنظام، وهي على حقٍّ في جزءٍ من ذلك، لكنها استثمرت فيه بشكلٍ خاطئ، لأنها ابتعدت إلى درجاتٍ تصل حدّ الانفصال عن القاعدة الحقيقية للثورة، متناسية، عن قصدٍ أو عن جهل، أن المشاركة الشعبية هي الكفيلة والضامنة لاستمرار المقاومة بكل أشكالها، وأن حصرها بطريقٍ واحدٍ يضعفها، في أحسن الأحوال.

كان إقصاء الناس عن المشاركة في تقرير مصيرهم هو سياسة الأنظمة الاستبدادية، ولكن يبدو أن النظام الأسديّ استطاع أن يزرعها بين معارضيه. فعداؤنا للنظام ليس أعمق من الكراهية والتنافر اللذين نتبادلهما، وهما ركيزتان أساسيتان من دعائم استمرار النظام.

إن الدعوة إلى ممارسة السياسة تكتسب أهميتها اليوم أكثر من أي وقتٍ مضى، بمعنى التشارك في صنع القرار وفق مصالح البلد والمخاطر التي تجتاحه أولاً وأخيراً -وليس وفق النظريات والأيديولوجيات التي تخفي مصالح ضيقةً لأصحابها- ما يفتح الباب بشكلٍ جديٍّ للتشارك بدل التنافر وتبادل الاتهامات، ولتعزيز الثقة بدل الكراهية والشك. وكل ذلك بغايةٍ واضحةٍ ووحيدةٍ وهي معالجة ما يحدث في البلد من عمليات قتلٍ ممنهجةٍ حصدت أرواح مئات الألوف، وما تلاها من خططٍ لبلدنا. فغياب السياسة كانت له الكثير من العواقب، إذ لم يستطع «السياسيون»، أحزاباً وجماعات، أن يقدموا تصوراً معقولاً ومستقلاً إلى حدٍّ ما للمشاكل التي يواجهها الناس، واكتفوا بتصريحاتٍ وبياناتٍ تلفزيونيةٍ محفوظةٍ عن جرائم النظام ووحشيته، دون خطةٍ سياسيةٍ واضحةٍ ومقنعةٍ للناس أولاً وللدول ثانياً. وربما يفسر هذا جزئياً تراجع الدعم الشعبيّ والدوليّ للثورة السورية، واعتماد رأيٍ أوروبيٍّ وأميركيٍّ أنها حربٌ أهليةٌ وطائفية، ناهيكَ عن الموقف الروسيّ.

لن ينهي ما وصلنا إليه -رغم مرارته- الحياة فينا، وبالتالي لا بدّ للجميع أن يشاركوا وأن يقرروا، ومن حقهم تماماً إسماع أصواتهم، والمطالبة بإصلاح المؤسسات السياسية التقليدية التي اكتسبت شرعيةً من نضالات الثوار في المقام الأول، وذلك بتفهم الحالة التي نعيشها والظروف المحيطة والإمكانيات المتاحة والسبل الممكنة لتحقيق الهدف المتمثل في الخلاص من الاستبداد. واضعين في أذهاننا ألا أحد بمفرده يمتلك الصواب، وإنما يمكن للجميع النقاش والمشاركة في التوصل إليه، وأن الممارسة والوقائع هي من تصحح التصورات وتبنيها بشكلٍ مستمرٍّ وفق منطقٍ يأخذ المخاطر الكبيرة التي تحيط بالبلاد والعباد في اعتباره الأول، بعيداً عن الكراهية والسجالات العقيمة التي لا تفيد إلا في تقوية من يقتلنا.

فالابتعاد عن الصراعات الحزبية الضيقة والمصالح الفئوية التي زرعها فينا نظام القمع، وصارت حدوداً تميزنا، هو أولى الخطوات نحو ممارسة السياسة، بمعنى نفي العقائد والأيديولوجيات من الخطاب السياسّي العاجز والانتقال إلى خطاب سياسيٍّ برامجيٍّ تكون هموم الناس وحقوقهم هي ما يرسمه ويؤطره، لا النظريات مهما كانت مرجعيتها.

يتطلب منا هذا تقوية ثقتنا بأنفسنا، وبأننا أصحاب قضيةٍ وحقوق، ويمكن أن نعتمد على أنفسنا الحرّة ونتشارك في تحمل المسؤولية عن صياغة قراراتنا.

لا أعتقد أننا في لحظةٍ أكثر إلحاحاً على ممارسة السياسة التي تشاركنا جميعاً، بشكلٍ أو بآخر، في تغييبها، ناهيك عن مسعى النظام الأسديّ الذي خنق المجتمع كاملاً. لأن غياب السياسة، بمعنى غياب الناس عن المشاركة في الدفاع عن مصالحهم وحقوقهم، لا يعني سوى أمرٍ وحيدٍ هو إطالة عمليات قتلنا.

Moustafa Jacoub

كيف انضمّت حركة نور الدين الزنكي إلى جبهة فتح الشام

حسام الجبلاوي
موقع newsdeeply-21 شباط
ترجمة مأمون حلبي

كانت حركة الزنكي إحدى أقوى الفصائل المعتدلة التي تقاتل ضمن صفوف الجيش الحر في السنوات الأولى للحرب. لكنها، بعد توقف تدفق المساعدات الأجنبية لها عام 2015، تحالفت مع قوى أكثر جذرية.

منذ سيطرت قوات النظام على مدينة حلب أخذ يبرز نزاع كبير بين جماعات المعارضة في شمال سوريا. المجموعات المتطرفة تتصادم مع المجموعات المعتدلة حول مسائل عسكرية وعقائدية، وكثير من هذه القوى انقسمت إلى معسكرين رئيسيين؛ أحدهما، هيئة تحرير الشام، مكوّن بشكل رئيسي من مجموعات إسلامية بقيادة جبهة فتح الشام، والآخر مرتبط بحركة أحرار الشام.

من اللافت في خضمِّ هذه التطورات انضمام حركة الزنكي إلى هيئة تحرير الشام مع أن الحركة مصنّفة على أنها معتدلة، وجبهة فتح الشام مصنّفة على أنها إرهابية. وبالرغم من التوترات التاريخية بين حركة الزنكي وجبهة فتح الشام، انضمّت الحركة إلى التحالف الجديد نتيجة تغيّر طويل المدى في نظرتها ابتدأ منذ أن توقف أعضاء في مجموعة أصدقاء سوريا عن تقديم المساعدة لها في بدايات عام 2015.

تأسست حركة الزنكي، إحدى أقدم مجموعات الجيش الحر، في ريف حلب الغربي، أواخر 2011، بقيادة توفيق شهاب الدين، ولعبت دوراً بارزاً في مقاتلة تنظيم الدولة الإسلامية، ما ساعد على طرد التنظيم من مدينة حلب عام 2014. كما شاركت الحركة في العديد من العلميات ضد قوات النظام السوري. ويُقدّر عدد مقاتليها بحوالي سبعة آلاف.

يثير التغيّر الحاصل مؤخراً في منظورات وتحالفات الزنكي أسئلة عديدة حول الأسباب الكامنة خلف ذلك، لا سيما أن الحركة تُعد إحدى أكثر المجموعات تنظيماً في الجيش الحر. إذ لديها مجلس شورى ومكاتب مختصّة (سياسية وعسكرية وإدارية وخدميّة وإغاثية وطبيّة)، يستخدم كل منها اختصاصيين وسياسيين وضباطاً وخريجين جامعيين. ووفق المراقبين، بدأ هذا التغيّر عندما انضمت الحركة إلى جيش الفتح لقتال النظام في إدلب. وفي أواخر 2016 شنّ مقاتلون من الحركة هجوماً على «تجمع فاستقم كما أمرت». بمهاجمتها التجمع بدا أن الزنكي تشارك في الجهود الرامية إلى القضاء على الجيش الحر، وهو اتهام كثيراً ما يُوجّه إلى جبهة النصرة. وحتى قبل أن تعلن الحركة اندماجها الأخير كان واضحاً أن عدداً من مقاتليها لقوا مصرعهم عندما قصف التحالف الدولي أحد المعسكرات التدريبية لجبهة فتح الشام في الأتارب.

ويعزو حسام الأطرش، وهو قائد وشرعي في الحركة، اندماجها بهيئة تحرير الشام إلى «التدخل الأجنبي الذي منع الجماعات المعتدلة من التوحّد، وجعلها فريسة سهلة للنظام وحلفائه». يقول الأطرش: «بدأت الحركة تنفتح على العمل والتوحد مع مجموعات في الجيش الحر، وجرت مفاوضات عديدة حول ذلك مع مجموعات في حلب وإدلب مثل صقور الغاب، والفرقة 13، والفرقة الشمالية وغيرها. لكن الإجابة كانت دائماً أنهم غير قادرين لأن غرفة عمليات الموم والدول الداعمة لهم ترفض ذلك». لفترة من الزمن كانت الحركة تتلقى دعماً عن طريق الموم، لكن هذا الدعم توقف بعد اندماج الحركة مع جماعات أخرى في حلب، بحجة أن الحركة لم تشاور الغرفة قبل الاندماج. يقول الأطرش: «فقدنا الأمل بمجموعات الجيش الحر، ولذلك لجأنا إلى العمل مع أحرار الشام. ولكن عندما طلبنا الانضمام إليهم رفضوا، مبررين قرارهم بأنهم يبحثون عن مشروع شامل». وكشف الأطرش عن محاولات عديدة للاندماج باءت جميعها بالفشل لأنه، حسب الأطرش، لم تكن لدى الفصائل المعنيّة رغبة في العمل، ومنعت الضغوط الخارجية بعضهم من التوحد.

يقول حسن اسبرو، وهو ضابط منشق: «ليس مفاجئاً تحالف الحركة مع فصائل إسلامية نظراً إلى أن المجتمع الدولي توقف عن دعم المعارضة المعتدلة بالأسلحة. فقد تحرّر مقاتلو المعارضة من الوهم عندما سيطر النظام على حلب، بعد أن كانوا يعتقدون أن المجتمع الدولي لن يسمح لأيّ من طرفي النزاع بهزيمة الآخر. وبما أن شروط كثير من الداعمين كانت تمنعهم من التوحد، لم تجد حركة الزنكي وحركات أخرى أحداً مستعداً لتشكيل حلف معهم سوى مجموعات لديها منظورات إسلامية». ويرى اسبرو أن مجموعات الجيش الحر ستتلاشى الواحدة تلو الأخرى إن لم يشكل داعمو الثورة السورية كياناً موحداً وقوياً يتم دعمه بأكثر من مجرد مؤن غذائية.

بالمقابل، يلاحظ أحد قادة فصيل السلطان مراد أن الحركة انضمت في الماضي إلى كثير من التحالفات، منها الجبهة الشامية وجيش المجاهدين وغيرها، لكنها سرعان ما كانت تخرج منها. وأرجع المتحدث ذلك إلى طبيعة قائدها الشيخ توفيق شهاب الدين، المعروف برغبته في البقاء مستقلاً.

لقاء بشار بفريقه الديني الشبابي

فرحين بلقاء بشار الأسد، تناقل أعضاء الفريق الديني الشبابي في وزارة الأوقاف السورية المقطع المصور لذلك اللقاء على صفحاتهم الشخصية. متعجبين من روعة هذا «الإنسان العظيم» وحكمته، عازمين على تحويل الهراء الذي تفوه به إلى «منهاج عمل» للفريق.

خلال 20 دقيقة استغرقتها كلمة بشار قبل فتح باب الأسئلة، كان هؤلاء «المشايخ» من الشبان والشابات يذوبون إصغاءً على كراسيهم، سعداء بالقرب إلى هذا الحد من الرئيس الفيلسوف، الذي «فوجئ بشكل إيجابي» -حسب ما قال- من اتساع الفريق إلى هذا العدد من إناث وذكور.

بدأ بشار حديثه بأنه لاحظ، خلال «الأزمة»، فجوة بين جيلين، فقد يكون «الأب والأم وطنيين ويكون الأبناء على العكس»، وفجوة أخرى بين رجال الدين الأكبر سناً ورجال الدين الشباب، مدافعاً عن الكبار إذ أدوا واجبهم الوطني باقتدار، وبرّأ ساحتهم من المسؤولية لأن «الأزمة» أكبر من أن يواجهوها وحدهم، ولهذا كان لا بد من مد الجسور بين الجيلين المشيخيين لتدريب الشيوخ الشباب على مجابهة أزمة أخرى قد تندلع بعد 20 عاماً ولا تمكن مواجهتها حينذاك بـ«جيل مخترق فكرياً».

على هذا المنوال العميق سرد بشار سلسلة رؤاه حول «قدرة الشباب على التواصل عبر وسائل التواصل»، وعن ضرورة أن يعيد الفريق الديني الشبابي «صياغة المصطلحات»، فأوصاهم أن يكونوا «منهجيين»، وحدد لهم الجمهور المستهدف ومحتوى الرسالة، أو حقيبة البضاعة، على طريقة مندوبي المبيعات الجوالين على البيوت. بل حدد أيضاً «الأولويات» التي ضيعها علينا الغرب منذ قرون، وتحديداً في القرن العشرين حين «تمكن من استخدام هذه الحالة ليفككنا» بعد أن وضعنا «أمام المصطلحات المتناقضة». وباستفاضة ضرب لقادة التدين المستقبليين مثلاً عن مؤامرة المصطلح التي حاكها الغرب، حين «حذف الواو» بين العروبة والإسلام لتصير الجملة «العروبة مقابل الإسلام»، قبل أن يستكمل الإخوان المسلمون هذا الصراع. وأمثلة أخرى عن خطورة المؤامرة المتعلقة بواو العطف التي تقلب المصطلح رأساً على عقب، قلباً يجعل العقل عدو النقل والعكس صحيح، وكذلك الدين والعلم. وصولاً إلى دعوة الحاضرين إلى تأمل «فلسفة القرآن بشكل أعمق»، تلك الفلسفة التي تدرك فقط «بالتعمق بفلسفة الحياة»، وفق ما نهل بشار من فيض حكمته وعفو خاطره المنطقي.

تأسس الفريق الديني الشبابي قبل عام تقريباً، منبثقاً عن فكرة خطرت على قلب بشار أثناء حديثه مع وزير الأوقاف الذي أوحى بها لابنه الشيخ المهندس عبد الله بن محمد عبد الستار السيد «الحسيني» ليترأسها وينطلق بها. فجمع الأخير شيوخاً وشيخات من أحدث الطرز، جاء بهم من بين زملاء من أبناء شيوخ آخرين ومن فئات وأطياف شتى، عملوا بجهد ليحظوا أخيراً بمكرمة أن يجتمع بهم رئيسهم بشحمه ولحمه وفلسفته.

بعد اللقاء كتب الشيخ الشاب محمد صالح عبد اللطيف الفرفور الحسني «نعتز بثقة قائد الوطن بفريقنا الديني الشبابي»، ووصف شيخ من مجمع كفتارو اللقاء بأنه «شرف»، وقال آخر إن بشار «ثورة بنفسه».

مجلّة عين المدينة نصف شهرية سياسيّة متنوعة مُستقلة

عضو الشبكة السورية للإعلام المطبوع

SNP

ayn-almadina.com
info@ayn-almadina.com

@AynAlmadina
/3aynAlmadina

- لا تعبر المقالات المنشورة بالضرورة عن رأي المجلة.
- ترحب المجلة بمساهماتكم غير المنشورة سابقاً.

سد الفرات في سبعينات القرن الماضي

الواجهة الأمامية بعد تحويل المجرى ١٩٧٣

نزار قباني و عبد السلام العجيلي

وفد رسمي سعودي

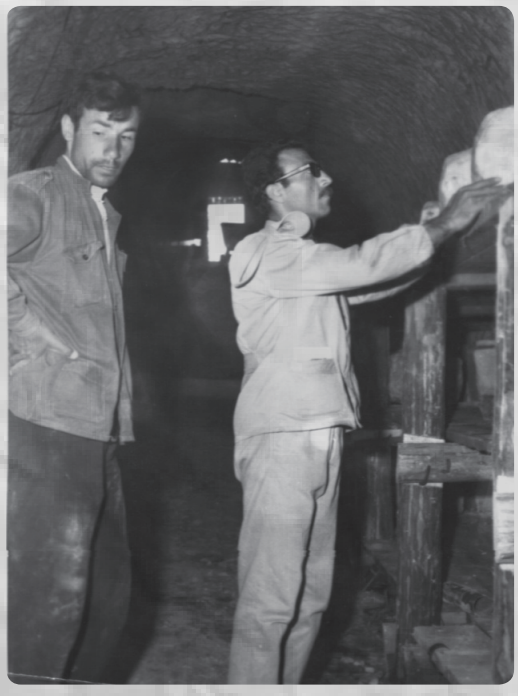

اختبارات هندسية تحت السد

المطران كبوشي والشيخ محمد الشامي

أرشيف خاص